غرام

زحمة كتاب

غرام

لمياء أحمد عثمان

مراجع لغوي:أ.منى داروي

أ.أحمد المنزلاوى

تصميم داخلي: أحمد عويس

الترقيم الدولي: 978-977-6527-737

رقم الإيداع:2016/21788

الطبعة الأولى 2016

جميع الحقوق محفوظة لدى الناشر زحمة كتاب للنشر والتوزيع

غرام

لمياء أحمد عثمان

رواية

زحمة كتاب

إهداء

أهدي هذه الرواية إلى نفسي وأحييها على تحملها الكثير ونهوضها الأقوى...
إلى كل من ظن أنها نهايتي: ها أنا أمامكم بكل قوتي...
إلى كل شخص قلّل من قدراتي وقيمتي...

مقدمة

ليس كل ما تراه حقيقة قد تتغير الأمور بلحظة وتتحول حياتك من جحيم إلى رغد وسعادة، رُب مصيبة تصلح لك ما أفسدته نفسك. قد يطرأ على قلبك حب يضيء قلبك ، فحين يهيمن الغرام على المرء تتلون حياته باللون الأبيض .

الفصل الأول

صدفة

- قد يصادفك موقف ما يغير حياتك -

اختلج قلبي بالحب واختنقت أحلامي سئمت من حياتي ، رغم شغفي للعيش كفتاة عاشقة ،أتظاهر بالجدية وأسخر من أفعال المراهقين الصبيانية ،بينما أعيش بخيالي مع حبيب وهمي ؛أبوح له بعشقي ، أراهم هو، أنظر إلى الوجوه بحثًا عنه لعلي أراه لكنني أغالط نفسي، لا كُفِّي عن هذه الأفكار لستِ جديرة بالعشق. ألا تتذكرين ما فعله والدك بكِ؟! ألستِ أنتِ من قلتي أنكِ سئمتي من رجال الكون، لماذا؟ أترغبين بالعيش مثل والدتك ذليلة عشق رجل كل ما يملكه هو الصراخ والضرب وجرح المشاعر؟! كلما نظرت لأمي أرى سيدة عجوز رغم صغر سنها، طبقات من الشقاء تعتلي وجهها، وغيوم الألم تهيمن على ملامحها، عاشت وحيدة لا يسأل عنها مخلوق، كلما نظرت لها رأيت نفسي وكأني أنظر بمرآة مسحورة تعكس تقلبات الزمن. أما أبي فمهما صدَر منه سيظل أبي رغما عني أحبه، لا أنكر قسوته وبشاعة تصرفاته ،لكنني غفرت له جزءًا من هذه المعاناة بمجرد نظري بوجه أخي ،أحببته، رأيته رجلًا تتمناه كافة نساء الكون ،لكن شاء الله أن يعاقب أبي به ،مرض لم أكف عن مُؤازرته والوقوف بجواره

****

دق باب الشقة فتح عمرو فوجد خطابا من العقيد/ سامي المنفلوطي تعجب من الاسم فهو لم يسمعه سابقا ذهب لغرفة والدته ، انتظرها حتى انتهت من صلاة الظهر

- تقبل الله .

قبَّل يدها وطلب منها أن تدعو له.

- أمي مين سامي المنفلوطي؟؟

تغيرت ملامحها وتلعثم لسانها وكأنها تذكرت الماضي بكل آلامه. فانكمشت جبهة سامية : ياه يا عمرو ده عشرة عمر يا ابني ده يبقي زوج فاطمة بنت عمي .

- وإيه اللي فكره بينا ؟

نظرت له وكاد القلق أن يقفز من ملامحها

- افتح الجواب نشوف ، يارب يكون خير.

كان الخطاب كالتالي :(أختي سامية ، لن أُنكر تقصيري معكِ ، لكن ساءت الحالة الصحية لفاطمة ، لم تكف عن السؤال عنكِ طيلة الوقت، أرجوك أن تأتي لزيارتها، لقد توسلت لي ابنتي الوحيدة لأرسل لك هذا الخطاب ،أرجوك لا ترديني مكسورا . عنوان منزلنا الجديد – 23 ش النصر المعادي – في انتظارك مع خالص احترامي لك .)

- هنعمل إيه يا أمي ، هنروحلهم ؟

أخذت نفسا عميقا وانفرجت أساريرها.

- والله يا ابني هم أيوه مبيسألوش عننا بعد ما والدك توفى ، لكن واجب أروح أشوفها فاطمة زي أختي برضو.

- عندك حق يا أمي هصلي الضهر ،و أخلص مذاكرة ، وألبس ونروحلهم

نظرت سامية للأرض بعين مكسورة : لكن يا ابني هندخل عليهم ايدينا فاضية.

– لا طبعا يا أمي دول ساكنين في المعادي يعني ناس أغنيا و أنا عاهدت نفسي من وقت ما توفى بابا إني عمري ما هحسسك بالاحتياج، ولا إنك أقل من حد ، سبيبها على ربنا ثم عليا.

وفي تمام الساعة السادسة مساءً خرج عمرو بصحبة والدته متجهين إلى المعادي ، دخل عمرو أفخم محلات الحلويات وأحضر علبة من الشيكولاتة بطبق مرصع بالفضة.

ـ لكن يا ابني كدة كتير ، أنا عارفه إن فلوسك يا دوب مكفية الدروس الخصوصية.

ـ يا أمي أنا نزلت يوم الإجازة بشوية حلويات عملتهم في البيت ، بعتهم متشليش همي أنتِ بس.

ـ كل يوم يا ابني بتكبر في نظري ، ربنا يباركلي فيك.

دخلت سامية العمارة بينما عمرو يحاسب سائق التاكسي، فسقطت سامية حين شبك طرف جلبابها الأسود بباب العمارة، سندتها مارين وربتت على كتفها .

ـ ربنا يباركلك يا بنتي و يرزقك الخير.

في هذه الأثناء دخل عمرو فوجد والدته تتكئ على مارين ، فسألهما ما خطبكما ؟ أخبرته والدته بما حدث .

_ شكرا يا آنسة ربنا يباركلك.

سأل عمرو بواب العقار عن العقيد سامي المنفلوطي فأجابت مارين: «ده والد صديقتي اتفضلوا هوصلكم» صعدوا للدور الثالث، فتاة خمرية،شعرها أسود يصل لآخر ظهرها، عيناها عسليتان ، ارتبكت حين رأته ينظر إليها فسقطت من يدها بعض الكتب الدراسية ،انحنى ليعطيها الكتب فالتقت عيناهما ، فأزاحت شعرها عن وجهها ونهضت .

فتح العقيد سامي باب الشقة وسط ترحيب شديد بسامية، سألها بشغف: من هذا الشاب الوسيم؟ لا تقولي إنه عمرو.

_ ابني عمرو بقي راجل ، شوفت بقا بعدنا قد إيه .

دخلت سامية غرفة فاطمة اغرورقت أعينهما بدموع الاشتياق.

- سامي: مارين مش قولتي إنك هتروحي رجعتي ليه؟
- كنت بوصل طنط قالت إنها قريبتكم .
- يلا على البيت وياريت نذاكر.

دخل عمرو الشقة ولكنه سارح بجمال مارين وصوتها الدافئ.

- فاطمة: غرام ، غراااام.
- نعم يا ماما

أتيت مسرعة أمسح يدي بمنشفة المطبخ ، استكمل هندامي.

– سامية: الله أكبر كبرتي يا غرام ،و بقيتي عروسة.

قدمت كوبا من عصير المانجو لعمرو فتنحنح: شكرًا يا آنسة.جلست برقة فبدأت سامية بالكلام لتكسر حاجز الصمت بينهم.

– سامية: في سنة كام دلوقتي يا غرام؟
– تانية ثانوي يا طنط.
– ربنا معاكي يا حبيبتي .
– عمرو: لو احتاجتي أي مساعدة في الدراسة أنا تحت أمرك.
– فاطمة: ياريت يا ابني تبقى تذاكرلها أنا لما المرض هدني مبقتش أعرف أساعدها.
– غرام: هو حضرتك في سنة كام؟
– عمرو:تالتة ثانوي .
– فاطمة: أنا عندي اقتراح ممكن لو عندك وقت تذاكروا مع بعض.

وافقتها سامية الرأي.

انتهت الزيارة، ومكث عمرو طول الطريق يتذكر عينيها العسليتين، وقوامها الممشوق، وملامحها الشرقية، وثيابها الجميلة. هل جعل الله هذه الزيارة سببًا لانشغاله عن دراسته وسقوطه في شباك الحب؟!

دق هاتفي ...

ـ مارين وصلتي ولا لسه؟
ـ اه مين اللي كان عندكم ده؟
ـ ده قريبنا اسمه عمرو ،على فكرة هيجي يذاكر معايا.
ـ وكمان اسمه عمرو يااااه .طب بالله عليكِ قوليلي لما يجي يذاكر معاكِ .

ـ مالك يا مارين في إيه؟ بقولك قريبنا أنسي اللي في دماغك.

بعد مرور عشرة أيام دق هاتف سامية، طلبت منها فاطمة أن ترسل عمرو كي يدرس مع غرام ؛ انتفضت سامية من مقعدها: حاضر يا حبيبتي أول ما يرجع هتصل بيكي عشان تتفقي معاه يجيلك .

أخبرت عمرو بالمكالمة فلمعت عيناه : تفتكري يا ماما كده مش هبقي بتطفل عليهم.

ـ ليه يا ابني الست هي اللي طلبت إنك تروح.

كاد أن يطير فرحًا، شغفًا لرؤية من أسرته بجمالها.

دق باب الشقة وفي الموعد المحدد بالثانية حضر عمرو، ففتحت غرام باب الشقة.

عمرو ينظر للأرض خجلًا .

ـ اتفضل يا ابني مالك متسمر مكانك ليه كدا؟

دخل غرفة المعيشة فوجد فاطمة تجلس على كرسي متحرك، سحبت غرام الكرسي، فجلس عمرو، وبدأ الحديث بينهم.

دق جرس الباب..

ـ اتفضلي يا آنسة مارين.

انفرجت أسارير عمرو وارتسمت الابتسامة على وجهه حين رآها.

ـ رورو أنتِ فين مكلمتنيش اخاارده وحشتيني أوي.

– تلعثم لسان مارين حين رأت عمرو: طب أمشي أنا.
ـ استني يا مارين أنتِ زعلتي ولا إيه؟

لم يفهم عمرو حديثنا، لكنه لاحظ نظرات غضبٍ بعينَي مارين.

ـ ليه لابسه الحجاب مش ده قريبك عادي يا غرام.
ـ اه قريبي لكن أجنبي بالنسبالي وحرام أكشف شعري قدامه.
ـ ليه مقولتليش إنه جاي.
ـ مش عاوزه مشاكل يا مارين ،أنتِ شكلك ناوية تصاحبيه ،وماما لو عرفت هتخليني أقطع علاقتي بيكي .
ـ هو ده ظنك فيا يا غرام ليه متقوليش أن ممكن يكون هو نصيبي .المهم يلا نخرج ،وعرفينا ببعض.
– غرام: مارين، أشارت بيدها تجاه عمرو .ثم قالت: عمرو. مارين صديقتي الوحيدة.

سرح عمرو بعالم آخر حين علم اسمها .

ـ حلو اسمك يا مارين ممكن أعرف معناه؟
ـ معناه البحر باللاتيني.

يدور برأسه ألف سؤال: من تكون مارين؟، هل سيُقدر له عشقها أم سيصاب بلعنة الحب، وعقدة النقص نظرًا لفقره.

شرح لنا عمرو الفصل الأول من مادة علم النفس.

لم تسمح له أمي بالخروج إلا بعد أن يتناول الغداء معنا ، أتى والدي فرحب بعمرو بشدة. اتفقنا على المذاكرة معًا كل نهاية أسبوع ،لاحظت نظرات العشق بأعينهما ولن يخطر ببالي ما حدث!!

تكررت الزيارات، نشأت علاقة وطيدة بين عمرو و مارين، ذات مساء مظلم طلبت مارين من عمرو أن يأخذها بطريقه لمنزلها، سعادة غامرة ملأت قلبه حين تحرك للسير معها.

عشقها سرًا، طالما حكى لها عن معشوقته الجميلة، كاد الفضول أن يقتلها لتعرف من؟؟!

الفصل الثاني

لوعة العشق

ما أصعب تحمل مشاعر الغيرة ويتخللها مشاعر قهر على معشوق بخيال فتاة حالمة لأول مرة بحياتها يدق الحب قلبها.

كاد الفضول أن يقتلها لتتأكد هل هي تلك المعشوقة التى يذكرها أم هناك من سكنت كيانه قبل ذلك فهو أخبرها أن حلم حياته هو أن يتزوج حبيبته ، يأخذها لبيت الله الحرام، ينجب فتاة جميلة يطلق عليها اسم والدتها.

- مارين: يعني أنت يا عمرو بتكلمني عن مجهول مش عاوز تقول اسمها ليه؟
- عاهدت نفسي مش هقولها إلا لما انوي أخطبها .
- طب مش ممكن تخلف العهد ده حتى لو عشان غرام.
- غرام ! إيه علاقة غرام بكلامنا ؟!
- متنكرش أنا ملاحظة نظراتكم لبعض.

أثارت غضبه وحركت مشاعره، فنجحت في الوصول لمبتغاها، فاعترف لها.

- عمرو: أقولك سر، بصي في المرايا هتشوفي حبيبتي.

ابتلعت ريقها بصعوبة بالغة ، واحمرت وجنتها.

سرحت تُحدث نفسها: «وأخيرًا سأفوز بالتحدي تحدّيت نفسي بكسر غرام أُلاحظ عشق هذه البلهاء له، كيف ينظر إليها بملابسها الواسعة التي تبدو مُستعارة من والدتها؟!

- عمرو: سرحتي في إيه؟
- مارين: أنا كمان بحبك يا عمرو بس ممكن متقولش لغرام .
- عمرو: ليه دي صاحبتنا؟!
- مارين:هتقول لماما وباباها أصلها عاملة زي العيال الصغيرة.

عاد عمرو إلى المنزل وعيناه تلمع من السعادة ،وأخيرًا تحقق حلمه عشق فتاة جميلة وهي الأخرى تعشقه، ظن أنه قد فاز بقلب تلك الفتاة التي قررت أن توقعه فريسة غدرها، فكرت أن أبوح له بشخصيتها المتقلبة ؛كي لا ينجرح، لكنني ترددت آلاف المرات ،أعرف صديقتي جيدًا ستظنني أعشقه، لكنني فقط أخشى خسارته. طلب عمرو أن يتنزه معها، أخذته للنادي. سألتها صديقاتها:

- من هذا الشاب؟ فقالت: صديقي
- عمرو: ليه مقولتلهمش إننا مرتبطين؟!
- عمرو نسيت أقولك حاجة مهمة.

فاجأته وألقته بمدينة مظلمة ليتحطم حلمه صوب عينيه.

- أنا مرتبطة بولد في أمريكا؟ وكل النادي هنا عارف .

ترقرقت دمعة حائرة بعيني عمرو

ـ ليه سبتيني اتعلق بيكي؟! كنتي قولتيلي من الأول ، ليه عملتي فيا كده ؟
اصطنعت الحزن:

ـ كنت فاكرة إنك بتحب غرام.

تركها ، ولأول مرة تخونه مشاعره، ظنها تحبه أوقف بكاءه رنين الهاتف.

- غرام : مارين قالتلي اللي حصل ؟ كنت عارفة من الأول إنها بتلعب بمشاعرك كنتِ قولتيلي ،عارفة حسيت بإيه؟ حسيت إنها بتسخر مني هي وصحابها ،وكأنها بتقولهم شوفوا دا فاكرني بحبه! كنت هحكيلك لكن اللي خلاني اسكت حسيت إنها ممكن تكون قالتلك إنها شاكة إنك بتحبني أنا.

شعرت ببكائه مع أنه لم يصدر صوتًا أو نحيبًا، فأغلقت الهاتف، أجهشت بالبكاء، سقطت دموع ندمي . خسرت عمرو من أجل فتاة لا تستحق الحديث معها. وضعت رأسي على الوسادة، سرحت بخيالي معترفة لحالي: نعم

لم أكن أعلم أنني أنثى قبل أن أراك ، حين نظرت إليك اقشعر بدني لسبب مجهول، تتوالى دقات قلبي كالطبول حين تمد يدك لتصافحني، عمرو أنت العمر المتبقي لي، ينبض قلبي باسمك ،وتختلج عيناي بالدمع حين أرى عشقك لها ،ليتني ما رأيتك ،ليتني قتلتها قبل أن تتسلل لقلبك ،حبيبي لم يسمع آهاتي سوى وسادتي التي غرقت بدموعي وابتلت بجراحي.

****

- عمرو:عاوز أشوفها يا غرام أتصرفي.
- غرام: قابلني في المهندسين عند كافية سليننترو.

هاتفت مارين طلبت منها أن نتقابل للمذاكرة بإحدى الكافتيريات، لم أخبرها بمجيء عمرو فتحجَّجت بالمرض ،أخبرتني أن قدمها انكسرت ، وصلتُ للمطعم ، تغيَّرت ملامح عمرو حين رآني وحدي ، وجدنا المطعم متكدسًا بالزبائن فقررنا تغيير المكان ، حين دخلنا صُدمتُ حين رأيتُ مارين تجلس بأحضان شاب عشريني ، تلتقط نفس من سجارته، جن جنون عمرو حين رآها.

– عمرو: قومي يلا امشي مش عاوز أشوف وشك ،انتي ازاي كده كل اللي أقدر اقوله إنك مش محترمة.

تدخل الشاب الذي تجلس مارين بين أحضانه فضرب عمرو بزجاجة فوق رأسه، رأيت الدم فلم أحتمل؛ أتصلت بأبي على الفور

_ بابا تعال بسرعة في خناقة كبيرة ،وعمرو أتعور مش عارفه اتصرف إزاي؟

جاء أبي فانفضت المعركة حين تدخل بوليس النجدة، وهرب الشاب بينما عمرو يجلس يضع الثلج علي رأسه، توعد أبي مارين عما فعلته، ولامها على سوء أخلاقها .

– أنت كنت مجرد لعبة ،انكسرت ،أنت فاكرني هحبك بلبسك اللي شبه لبس الفراعنة ده فوق ، فكر أنت مين ،وأنا مين.

– عمرو: أنا اه فقير لكن غنى النفس دا نعمة، أنتِ إنسانة عندك نقص ،بتغيري من صاحبتك حبيتي تكسريها ؛عشان فاكراها بتحبني، لا يا مارين غرام أختي مفيش بينا حاجة، أنتِ اللي نفسك مريضة ،هيَّتلِك وجود علاقة بينّا فحاولتي تدمريها.

– مارين: تلقاها زبالة زيك وأبوها بيداري على مصايبها ما هو ياما دارى على ابنه.

لم يفهم عمرو حديثها بل كان مصدوما من مدى حقارة هذه الشيطانة التي ارتدت ثوب الطيبة في أول لقاء بينهما.

لم أتحمل قسوة حديثها معه فصفعتها على وجهها

– غرام: اخرسي أنا غلطانة إني دخلتك بيتي ،وعملتك صحبتي . سامي : انتهينا يا مارين بنتي غلطانة؛ مبتعرفش تختار صحابها.

خرجتُ بصحبة عمرو الغارق في دموع القهر والحسرة، حاولت تهدئته لكني فشلت بهوان، لكني كشفتُ لهفتي المستورة حين اتصلت بعمرو عشرات المرات ، لم يُجب انتظرت حتى طلوع الشمس واتصلت بوالدته.

تحدثت بصوت متهدل: طنط سامية ، عمرو فين ؟ أنا مش عارفه أوصله من امبارح .

– سامية: امبارح بالليل كنت قلقانة زيك لحد ما جاني اتصال من تليفون عمرو رديت لقيت واحدة بتكلمني.

– واحدة مين دي مارين صح؟

– قاطعتها سامية: اصبري بس يا بنتي عمرو في المستشفى دلوقتي ،عربية خبطته، رمته على الرصيف، بالصدفة الست دي كانت ماشية فاتكعبلت فيه، سمعت تليفونه بيرن ردت عليا لقيتها بتقولي ابنك سايح في دمه صرخت في التليفون فقالتلي أنا هاخده لأقرب مستشفى و هكلمك ،كلمتني بعدها و قالتلي إنها خدته للقصر العيني.

– لا يا طنط قصر عيني إيه أنا جايه حالا أنا وبابا هننقله لمستشفى خاصة.

صمتت سامية للحظات تفكر هل توافقها الرأي أم سيغضب عمرو لو علم أنها قبلت مساعدتنا!!

– سلام يا طنط إحنا جايين حالا.

في غرفة العناية المركزة ، اغرورقت عيناي بالدمع يتعجب والدي من حالة الانهيار التي أصابتني ، قال يحدث نفسه: هل يعقل أن تحزن لهذه الدرجة على زميل لها ؟

– عمرو يرقد على سرير المرض، صدمت حين علمت أن الحادث أصابه بشرخ في جمجمة رأسه و كسر بساقه الأيسر.

أصبت بهستيريا حين رأيت ذبابة علي وجهه صرخت بوجة الممرضة ألومها على هذا الاهمال.

وفي طريقنا للعودة للمنزل.

ـــ غرام مش واخدة بالك إنك مزوداها شوية في الزعل على عمرو.
ـــ يا بابا ده صديقي الوحيد ، بنذاكر سوا من فترة طويلة.
ـــ غرام أنا بحذرك استحاله يكون في علاقة بينك وبينه.
ـــ بابا عمرو كان بيحب مارين.

لكنه لم يقتنع يعرف ابنته جيدا حين تكذب و تأكد أن الأمر لا يقتصر علي مجرد صداقة.

وفي منزل العقيد سامي المنفلوطي يجلس على الأريكة «الركلينر» يترنح يمينا ويسارًا ثم نهض و دخل غرفة أمي.

ـــ أنتِ السبب يا فاطمة في كل اللي بيحصل ده .
ـــ في إيه بس يا سامي استهدي بالله.
ـــ غرام حبت عمرو وأنتِ السبب أنا قولتلك منحطش البنزين جنب النار مش هسمح أن بنتي تتجوز واحد زي ده فقير .
ـــ أنت بقيت كل تفكيرك في الفلوس بس وبعدين جواز إيه دول عيال.
ـــ مش فلوس، بس أنتِ عارفة موقفي من سامية من زمان طول عمري بقولك إن تصرفاتها مش عجباني.

ـ أنت ظلمتها مش معنى إن في شبابها لبسها كان ملفت إنك تتهمها إنها مش محترمة، متلومهاش على شيء انتهي ، وهي أثبتت إنها محترمة.
ـ انتهينا، عمرو مش هيدخل بيتي تاني أنا قولت وخلاص.
ـ ده بدل ما تقف جمبهم في أزمتهم دي.
ـ ما أنا عزمت عليها أنقله مستشفى خاصة ، مرضيتش حاولت أديها فلوس برضو مرضيتش.
ـ ده يثبت إنها محترمة ونفسها عزيزة عليها.
تدخلت بالحديثُ :
ـ على فكرة يا بابا كان ممكن ترفض إنه يذاكر معايا، لكن أنت سبتني معاه! كمان بتقول بحبه!

*****

أي حب وأنتَ جعلتني أرجف حين أرى طيف رجل ،كم صرختَ بوجهي ونهرتني أمام البشر كم عذبتني ! و قصصت لي شَعْرِي لتكسرني. لن أنسى صراخ أمي حين كَوَيت قدمها بالملعقة الساخنة، و حين ربطتَ قدمي ووضعت لازقًا على فمي كي لا أخبرها بزيجتك الأولى و حين ضربتني ضربا مبرحا بماسورة المياه لمجرد اعتراضي على ضربك لأمي.

ـ سرحتي في ايه يا بنت؟ هقتلك لو فكرتي فيه.

جلست بغرفتي أبكي ،و أكتم صرخاتي بالوسادة ،اتصلت لأطمئن على عمرو

ـ عمرو أخباره إيه دلوقتي.
ـ مفيش في ايدينا غير الدعاء ، ادعيله الساعات الجاية تمر على خير. لم يشفِ غليلي سوى الاتصال بمارين .
ـ عاوزة إيه مش شتمتيني عشان واحد زبالة.

ـ عاوزة أقولك إنك أقذر بنت قابلتها، لعبتي على الواد، استغليتي طيبته.
ضحكت مارين بسخرية
ـ حبيبتي متنكريش إنك كنتي بتموتي من حبه ليا.
ـ حب إيه بس؟ عمرو منطوي مشافش قبل كده بنات منحلة ومتبرجة زيك أنتِ نزوة في حياته.

أغلقتُ الهاتف وقلبي يعتصر من سخريتها لمشاعري ظننتها صديقتي مازلت أحبها لم أعرف الصداقة قبل أن أراها.

- أمي: غرام فعلا بتحبي عمرو؟!
- يا أمي أنا بكره كل الرجالة بسببه حب إيه بس.
- طمنيني كلمتي والدته؟
- أه يا أمي لسه في غيبوبة ادعيله.

لم أكف عن زيارته يوميا، أعود من مدرستي على المشفى دون علم أحد لأتأمل ملامحه.

الفصل الثالث

صحوة الموت

قـد يخلـف اللـه ظنـك قـد تنتهـي حياتـك بلحظـة فـلا تلتفـت للحيـاة
فالعمـر فـانٍ

ـ كم هو مؤسف حين ترى الفتاة حبيبها يرقد بين الحياة والموت وسط المحاليل والأجهزة الطبية تنتظر همهمات القدر .توقف نبضه صرخت والدته صرخة مدوية، فقام الطبيب بعمل صدمات كهربائية، فعاد النبض في تلك اللحظات كدت أن أفقد حالي. ما أقرب الموت!

من أين علمت مارين أن عمرو بهذه المشفى؟ ما الذي أتى بها إلى هنا ؟!هل سيعود لها ؟ لم تتوقف هذه الأسئلة إلا بعد أن جاءت مارين تبكي و تربت على يديه .

ـ عمرو فوق يا حبيبي الدنيا كلها متسواش زعلك مش تعبك .

كادت سامية أن تصدقها لكنني خرجت من مخبئي لأكشف فعلتها، قصصت على الجميع ما حدث فخرجت مارين من الغرفة.

دق هاتفي بنغمة الرسائل

ـ هخليكي تكرهي نفسك زي ما بتكرهي أبوكي أما يجيلك اللي يشوهك ،وأمك المشلولة هتفقد النطق أما تعرف المستخبي .

جاءت الرسالة كالصاعقة . ما أسوأ الثقة بالآخرين ! ظننتها صديقتي وأئتمنتها علي سر حياتي لكنها استغلت ضعفي و ثقتي بها يا ربي ،ماذا أفعل الآن؟

لاحظت أمي شرودي .

ـ مالك يا غرام ، سألتي على عمرو إنهارده؟
ـ الحمد لله بعد ما نبضه وقف استقرت حالته، ليه يا ماما مبتسألش عليه.
ـمكنتش عاوزه أقولك إن بابا مانعني أكلم سامية.

ـ ليه يا ماما ،ليه خلاها تيجي هنا ،ليه سمح لعمرو إنه يدخل بيته.

صمتت فاطمة تفكر، ماذا تقول لابنتها ؟!هل تخبرها بالماضي ؟ لم تمر القضية مرور الكرام لن يتوقف ظن سامي لهذه اللحظة ببراءتها لكنها رغم قسوته ساعدها لحملها بطفل.

ـ يا بنتي متفتحيش دفاتر الماضي.

وبعد مرور أيام...

استعاد عمرو وعيه ، لكن بنصف كيان ، نصف ذهن ، فقد ذاكرته تمامًا، نظر لأمه

ـ أنتِ مين ،عاوزه مني إيه؟

لم أتمالك نفسي حين رأيته يجلس على الفراش تطعمه والدته كالطفل. دخلت الغرفة ، أمسكت يديه ، قبلتها ، تعجب ، سحب يده مسرعا

ـ أنتِ مين ، عاوزه مني إيه أنا معرفكيش؟

اغرورقت عيناي بالدمع

انهض يا حبيب كسر قيود حيائي.
انهض يا من حطمته بثقتي وغبائي.
انهض يا من لم استخدم لأجله دهائي.
انهض يا عمري فهل يقوى على الحب أي داءٍ
حبيبي ليت بوسعي أن أضمك بعيني وأغلق عليك مُقلتي لأحفظك من أعينهم.

خرجتُ من الغرفة والدموع عالقة بصدري تأبى أن تسقط أمامه، وكبريائي يمنعني من أخذه حبيبًا وأعترف بتعطشي لسماع صوته، لكن سرعان ما تذكرتُ، عدتُ لوالدته مسرعة: «ممكن متقوليش لماما إني جيت أشوف عمرو».

طلبت منها أن تروي لي قصتها مع والدي لكنها شردت بعالم آخر ،تلعثم لسانها فأدركت أن هناك كارثة لا أعلمها.

ـ ممكن متقوليش لعمرو أن في حاجه بيني ،وبين باباكي.
ـ يارب بس يرجع لوعيه تاني.
ـ انقلبت حياتي ، ماذا أفعل لو روت مارين سري لوالدتي ؟! هل ستسامحني أم سأفقدها ؟
ـوالدتي بصوت جهوري غرااام غرااام

بدأ الصوت يتلاشى، هرولت لأرى ما حدث ..... سقطت والدتي أرضا بعد أن رأت محتوى الظرف.

ـ أنتِ يا غرام تخبي عليا حاجة زي دي.
ـ سامحيني يا ماما أقسم بالله كان غصب عني.
ـ إيه هو اللي غصب عنك أنا كنت بعتبرك كل عيلتي مش مجرد بنتي لكن أنتِ نزلتي من نظري، صح مش بنت سامي الدم واحد نفس الجينات.
ـ متظلمنيش يا ماما.
ـ من اللحظة دي أنا مش أمك، مش مسمحاكي حسبي الله ونعم الوكيل.

لم تصدق نفسها حين قرأت محتوى الرسالة:

«ابنتك غرام على علاقة بزوجة أبيها، دائمًا ما تزورها بمنزلها تخرج مع أخيها الذي يكبرها بسبعة أعوام. وداعًا أتمنى لكِ مزيدًا من القهر والحسرة.»

لم تشعر أمي بمرارة بحلقها سوى مني، نجحت تلك الملعونة في هدم سد الثقة الذي بنيته مع أمي طيلة هذا العمر، فأبي خائن، لماذا تزوجها إذن؟ لماذا لم يتركها بعد مرضها ؟

ـ فوقي يا ماما كلميني أنتِ ساكتة كدة ليه، والله بابا اللي خدني ليهم بالعافية ،وأخويا ده مريض عشان كده أنا واقفة جمبه.

ـ قدرتي تخدعيني ،وتخبي عليا طول الفترة دي.

ـ ماما اللي حصل إن مارين كانت على علاقة بإياد بعد فترة من كلامهم على النت طلب يقابلها ،فأخدتني معاها لكني وقفت بعيد لإني بخاف أعمل حاجة غلط ، لقيته بيلبسها كيس في وشها كان عاوز يخنقها ، صرخت حاولت أبعده عنها معرفتش كلمت بابا بسرعة ،أما جه فضل ساكت باصص لإياد كانت مارين مش عارفة تاخد نفسها ،وصممت تعمله محضر لكن بابا توسل إليها تتنازل.

ـ بابا إزاي عاوزها تتنازل ده كان هيقتلها؟!

ـ لازم تقنعيها يا غرام ده أخوكي أنا متجوز ست تانية قبل أمك لكن أمك متعرفش ساعديني يا بنتي.

*****

لم أصدق كلامه كيف لي أخ لم يخبرني ماذا لو أحببته دون علمي ؟ ماذا لو قتلها ؟ كيف خدع أمي ؟ آلاف التساؤلات مرت بذهني قاطعني صوت الهاتف.

ـ ممكن أعرف إيه سر أن والدك عاوزني أتنازل.
ـ لازم تتنازلي لإن ده قريب بابا من بعيد.

لم تصدقني بل جمعت معلومات إنه إياد سامي المنفلوطي ،لديه عداءات ،و محاولات قتل كثيرة للفتيات لكن أبي ينقذ الضحية دائما في اللحظة الأخيرة

علاقتي ببابا اتحسنت لإنه خاف إني أبلغك ، بعدها قتلته مش قادرة أبص في وش ماما حاسة إني بخدعها.. بكيت كتير ، لكنه هددني بمسدس إنه هيقتلني لو قتلتك حاجة. ولما اتقابلت مع إياد حسيت إنه طيب ومحتاج حد يسانده، محتاج يثق في أي بنت في الدنيا.

- والدتي: كان ممكن تقوليلي ،ويفضل سر بينا.
- يا ماما بصي قدامك كده دي كاميرا بابا بيراقبنا بيها ،ودلوقتي هيشوف إني حكتلك،هيقتلني .
- كلمي سامية قبل كده حصلها موقف زي كدا و مسحت اللي على الكاميرا كله .اتصلت بها
- السلام عليكم .
- عليكم السلام.
- عمرو عامل إيه؟
- كويس يا حبيبتي خير

– طنط ممكن أسألك على حاجة .
_هتفتحي في الماضي تاني يا غرام؟
_ لا والله أنا بس عاوزة أمسح حاجة متسجلة على كاميرا في الأوضة بتاعت ماما الحقيني بسرعة أعمل إيه مفيش وقت؟
_ غرام تعالي المستشفى اقعدي مع عمرو وأنا همسح كل حاجة
_ حاضر لكن بالله عليكِ بابا قرب يجي.
******

في المستشفى بعد أن تبادلنا القبلات خرجت سامية مسرعة لتتمم هذه المهمة، كاد قلبي أن يتوقف من سرعة النبضات ،استيقظ عمرو فابتسم .

_ أنا شوفتك قبل كده ، أنت إزاي ملامحك رقيقة كده.
_ أيوة أنا غرام يا عمرو فاكرني؟
_ اسمك جميل أوي يا غرام أنتِ تعرفي عني إيه؟ احكيلي ؛ يمكن افتكر.
_ أنت شاب جدع ،ومحترم اسمك عمرو في ثالثة ثانوي شاطر أوي في مذاكرتك كنت بتذاكرلي كمان.
_ حاسس إني أعرفك من زمان ،عنيكِ بتحكيلي كلام كتير .
أردف:
_ فين أمي؟

ابتلعتُ ريقي بصعوبة كيف نسيت مصيبتي سرحت بنعومة صوته. تمنيت أن يتغير الزمان والمكان لأعيش لحظة حب ،تعطشت إليها كثيرًا

اتصلتْ بي والدتي ،كاد صوتها أن يتوقف خوفا.

ـ غرام تعالي حالا.

ـ في إيه يا ماما أسيب عمرو إزاي طب.

صرخت سامية غرام هاتي عمرو بأي طريقة وتعالي بسرعة.

دب الرعب بقلبي اقنعت الطبيب أن آخذ عمرو لنزهة ،وافق بعد إلحاح كثير.

الفصل الرابع

* اعترافات جريئة*

قد نُجبر على البوح بأسرارنا، كل ما يخيفنا هو خسارة بعض الناس.

سمعتُ صوت رصاصة فوضعت يدي على قلبي ،توقفت أنفاسي ،فتحت فمي وارتميت بأحضان عمرو من شدة الهلع ، هدأ من روعي ،وطرق الباب ففتحت سامية ،بيدها المسدس طمأنت الجيران «كنا ننظف السلاح ليس إلا لا تقلقوا نحن بخير .»

جذبتنا داخل الشقة

ـ غرام ممكن تفهميني ده بيقي إيه؟
ـ يا الله إزاي يا ماما يطلع كده هو أيوة قاسي لكن اتصدمت فيه صدمة عمري ده بابا معقول!!
ـ إحنا في خطر يا غرام ياريت نهرب من البيت.
ـ لا يا ماما ممكن يوصلنا ويقضي علينا ،لازم نفضل جنبه ،ونتظاهر إننا لسه منعرفش حاجة.

تدخلت سامية بالحوار

ـ فاكرة يا فاطمة زماااان فاكرة وقتها اللي حصل عمل نفسه ملاك مبيغلطش
ـ فاكرة يا سامية كان بيحبني إزاي ؟!
ـ اللي كان يشوفه وقتها كان يقول مغرم بيكي .
ـ تفتكري ليه بعتلي الجواب دا؟
ـ عشان يفكرني بجميله ،ويكسرني من تاني.
ـ دا قدر يبعدني عنك ٥١ سنة مع إنه عارف إن ملناش غير بعض وأهلنا كلهم بالصعيد ومش بنشوفهم.

عمرو شبه مغيب عن الواقع ينظر لنا ،والدمع يترقرق بعينيه، مازال لا يفهم شيئا ،شعرت بقلبه يدق آلاف الدقات في الثانية الواحدة.

- مالك يا عمرو ساكت ليه يا حبيبي.
- عاوز أرجع المستشفي يا ماما ،أنا خايف يااارب ساعدني ترجعلي الذاكرة يا رب فك كربي ،واشفيني.
- غرام: اسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك توكل على الله فهو حسبك يا عمرو دا ابتلاء من ربنا .

دق باب الشقة جاء أبي بعد أن رتبنا كل شيء كما كان.

- حمد لله على سلامتك يا عمرو.
- الله يسلمك أنت مين ؟
- هههه إيه ده أنت دماغك ضربت.
- حسبي الله ونعم الوكيل.
- غرام: اللهم لا شماتة.

نهض عمرو من مرقده ،صمم على العودة للمشفى.

مكثتُ أفكر، ما هذا القلب الأسود ،والمشاعر الباهتة هل نسى أمر إياد أم ضمن حياته وصحته؟ كيف به أن يجرح عمرًا بهذه الطريقة ؟تبادلنا النظرات لكني حتى الآن لا أعلم شعوره فقط شعرت به لا ذنب له بما حدث كل الذنب لمارين تلك المعلونة التي خدعتني قبل أن تخدعه.

هل مسحت سامية تسجيلات الكاميرا أم أنتظر الموت ؟ سيقطع أبي أنفاسي جزاء الاعتراف لأمي بأحد أسراره.

اتصل بي إياد يطمئن، فهو لا يثق بأنني في الكون سواي.

ـــ إزيك يا غرام.

ـ الحمد لله يا حبيبي، بتاخد علاجك.؟
ـ الحمد لله حاسس إني أحسن.
ـ مش هتحكيلي إيه اللي وصلك لكده ،وإزاي بتكره الستات كده ،وليه عاوز تتخلص منهم؟
ـ بكرهم كلهم إلا أنتِ يا أختي ، أنتِ بس اللي محترمة ، كلهم خاينين.
ـ مين خلاك تكرهم كدا قول يمكن ترتاح أما تطلع اللي جواك لحد غير الدكتور.
ـ هحكيلك.
ـ كنت طفل شوفت مرات خالي مع أخويا بوضع مش محترم ، سكت وجريت بعيد مكنتش فاهم حاجة كان نفسي أحكي لماما لكن خوفي منعني. الموضوع زاد عن حده شفتهم أكتر من مرة، لاحظت إني شفتها فقررت تتخلص مني .
ـ دينا: عملتلك بيتزا من اللي بتحبها ،هنا دخل أخويا فعجبه شكل البيتزا ،ولسه هياكل لقيتها بتصرخ ،وتقوله لا متاكلش دي لإياد بعد محاولات كتير منها إنه مياكلش.

عرف إن هي قاصدة تموتني أو حطالي سم وقتها اتخانق معاها ،ومن وقتها أخويا شبه قطع علاقته بها.

- غرام: أفهم من كده إن عندنا أخ تاني معرفهوش.
- هفهمك اسمعيني مكانتش دي المرة الوحيدة اللي حاولت تقتلني فيها، صحيت من النوم في يوم على كابوس كنت خايف أوي جريت على أوضة بابا اترمي في حضنه لقيتها هي جمبه.
- مامتك كانت فين؟
- ماما كانت عند تيته عشان تراعيها لأنها مريضة.

صرخت جه أخويا شافها معاه مقدرش يتمالك أعصابه جري جاب سكين من المطبخ ،لكنها لفت إيده فقتل نفسه.

تذكر إياد هذه اللحظات المؤلمة حين كان يصارع خوفه ،ويري أخاه الوحيد غارقا في بحر من الدماء . ما هذه السيدة الساقطة ؟كيف أودت بحياة أخيه ؟كيف أسقطت أبيه بشباكها ؟تمنى لو يملك القوة لقتلها، لكنه مازال طفلا.

_ بابا سابها بعد ما قتلت أخونا؟

_ لا حَبَسْها في قضية آداب عشان ينتقم منها.

أجهش إياد بالبكاء : لو كنت قولت لخالي من الأول مكانش اتقتل أخويا ،بكره نفسي يا غرام وبكره بابا كمان.

سرحت بعالم آخر لست وحدك من تكرهه فأنا بت أخشى صوت أنفاسه ،ويتوقف قلبي حين يدب مفتاحه بباب الشقة.

_ ساكتة ليه يا أختي؟

_ أبدا يا حبيبي أنا هفضل جمبك طول العمر ،ولو كل الدنيا جت عليك متنساش أن ليك ضهر ،وسند ؛أخت بتحبك أكتر من نور عينيها أنا معاك لحد ما تتعافى تماما.

_ لأ لآخر نفس هيطلع مني هتفضلي أجمل هدية من ربنا ليا ،بابا معملش حاجة كويسة في حياته إلا إنه جابك ليا.

أغلقنا الخط كل منا مفعم بالحب والحيوية ، لكن لم تمر دقائق ووجدت يدًا تسحبني للمكتب.

ـ بالذوق قولي مسحتي تسجيلات الكاميرا ليه؟

اهتز المنزل من حدة صوته: فاااااطمة ، فاااطمة تعالي هنا . أتت بالكرسي المتحرك وهي تطمئني بنظراتها الحانية.

ـ نعم يا سامي خير.

ـ مين مسح تسجيلات الكاميرا؟

ـ كاميرا إيه التليفون ،فهمني بتتكلم عن إيه ؟وأنا هقولك الصراحة.

ـ إيه حصل غلط لما سامية كانت هنا قولتوا عليا إيه؟

مسك شعري ،وجرني على الأرض.

ـ عملتوا إيه ؟ جبتوا سامية ليه؟؟

ـ صدفة ، جت صدفة يا سامي صدقني.

ـ غرام هانم اللي رايحة جاية على المستشفى كنتِ هناك ليه ؟ وخرجتي تجري وأنتِ ماسكة عمرو في إيدك؟

ـ أنت بتراقبني يا بابا ؟

ـ هتحققي معايا؟؟

ركلني في بطني ،ورفع رأسي ،وأسقطها أرضا ففقدت وعيي.

- أمي: إيه اللي عملته دا ؟؟ هتموت البنت.

- مش لوحدها.

- تحبوا تموتوا إزاي ، أولع فيكم بجاز ،ولا مسدس ،أقول قتلوا بعض ،ولا أكل مسمم من بره.

- أمي: أنا ميتة معاك بقالي عشرين سنة ،والموت أرحم من عيشه الذل دي.

- يعني دا رأيك ؟!

شد زيناد السلاح ،وصوبه تجاه رأس أمي، فدق هاتفي وهو على وضع الاهتزاز، فتحت أمي دون أن تشعره، صرخت بوجهه : لو قتلتني هأقتلك همهمت بكلمات غير مفهومة ، فأدركت سامية أننا سقطنا في شباكه فاستخدمت ذكاءها ،وأرسلت رسالة من هاتف عمرو.

(احضر حالا سننفذ العملية)

صمت الجميع فجأة ،خرج سامي من باب الشقة ،واتصل بالرقم لم يُجِب أحد.

دبَّ الرعب قلبه ما هذه الرسالة الغريبة ؟ من يريد أن يداعب مشاعر الخوف بقلبه ؟

اتصل بصديقه ،وطلب معلومات كاملة عن صاحب الرقم ،حين أدرك أن الرقم لعمرو بات يعبث بأوراقه بسرعة فائقة ، تضطرب أنفاسه ،ولاحظ أن الأوراق غير مرتبة فأدرك أن فاطمة عبثت بأوراقه فقرر الانتقام منها ،بفتح خزائن الماضي للإيقاع بها.

الفصل الرابع

فقدان الأمل

« فقدت الأمل في حياتي بعد أن وقعت بشباك أبي ... هل سيقتلني؟ »

طرقات متوالية على الباب من الجيران ؛ففتح

ـ خير يا أ/سامي مالها مدام فاطمة؟
ـ لا متقلقوش يا جماعة غرام غلطت ،وكنت بأدبها .

دخلت سيدة عجوز فنضحت على وجهي بعض الماء.

استغثتُ بها أرجوكِ اغيثيني دعيني أترك المنزل، وأعيش بالشارع أرحم من ظلمه ،تفاجأ الجميع حين رأوا وجهي غارق بالدماء ،وأخذتني سيدة عجوز وكفكفت دمعي .و مسحت دماء قلبي قبل وجهي ،وتلت لي سورة يوسف

ـ سبحان الله يعقوب فقد نظره من الحزن على ابنه لكن بابا عاوز يموتني، معقول ده أب!!
ـ عيب يا غرام مهما عمل ده والدك (ولا تقل لهما أف ولا تنهرهما) حاجة واحدة تعانديه فيها لو نهاكي عن عبادة ربنا .
ـ أنا عارفه إن ربنا أمرني بطاعته لكن كدا ذل حرام اللي بيعمله فيا أنا وأمي لا يجوز ضرب الوجه (إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه)
ـ دا حديث صحيح، استهدي بالله.

باتت تداعب خصلات شعري حتى نمت على قدمها. شعرت حينها بحنان لم أشهده طيلة عمري.

طلبت السيدة أن تقابل أبي.
ـ ممكن أفهم إزاي تعمل في مراتك ،وبنتك كدا ؟ احكِ بأمانة يا ابني.
ـ لو الست طلعت سر جوزها تبقى تستاهل الموت ولا لأ؟
ـ استهدى بالله بس كده أنت طول العمر عايش معاهم، ينفع على الآخر

كده تهين الست اللي اتحملتك عشرين سنة!
ـ أنا اللي متحملها يا حاجة بمرضها ،وهي عارفة إن غضبي وحش ،ومع ذلك عصبتني لدرجة متتخيليهاش ،و بنتي بتكرهني بسببها.
ـ لا مش بسببها وبنتك مبتكرهكش بنتك تعبت من اللي شافته منك ،بنت متدينة زي غرام تعرف ربنا كويس إيه الغلط اللي ممكن تعمله يشفعلك ، ب تضربها كدا بنتك تعبت من ظلمك ليها كل بنت بتشوف أبوها فارس أحلامها ،وسندها ،وأول حب في عمرها،بتحبك أوي أوي استغل حبها ليك يا ابني محدش ضامن العمر يمكن في ثانية تشتاق لضحكة غرام ،متلاقيهاش.

ترقرقت بعينه دمعة زائفة

ـ ربنا يطول في عمرها ،وأشوفها عروسة.
ـ إزاي دي بتكره الرجالة من عمايلك معاها.
ـ أنا بقسى عليها عشان عاوزها أحسن بنت في الدنيا.

أيقظتني السيدة ،وواجهتني بأبي.

ـ إيه الأوراق اللي خدتيها من مكتبي ،وأنا مش هأذيكِ أنتِ ووالدتك.
نظرت له فمازال قلبي ينبض بحبه .هذا أبي من دمي لن احتمل العيش من دونه رغم جبروته ،وقهره،وقمعه لي ، مازلت أنتظر اللحظة التي أرتمي فيها بين أحضانه فهو لم يعانقني طيلة عمري. دائما ما أشعر بنفوره مني ورفضه لي. لم أتفوه بكلمة فربت أبي على يدي ،وأخذني لمنزلنا ؛ ارتجفت أمي حين عاد للمنزل.
ـ متخافيش يا فاطمة مش هأذيكِ قوليلي كنتوا بتدوروا علي إيه؟هصدقك .
ـ سامية انتهزت الفرصة ،وقالتلي هاخد السي دي وتكسبي ثوابي لإنها خايفة أن عمرو يعرف حاجة عن اللي حصل.
ـ لكن أنتوا قولتولي كشفناك ،وعرفنا كل حاجة كنتوا بتتكلموا عن إيه؟

ـ كلام وخلاص يا سامي أنت عارف أنا مليش غيرك ،وزمان كان قلبي لسه بكر ، وأول دقة كانت ليك كنت بحبك أوي ، لكن أنت اللي خلتني أعتبرك من أعدائي ، ليه مقلتليش إنك متجوز واحدة تانية؟

نظر أبي لي نظرة عميقة لم أفهم معناها.

ـ لإني مبحبش أقول لحد إن عندي ابن مريض.

ـ مش مبرر كل شخص فينا ممكن يموت في أي لحظة مش يمرض بس .

ارتمى بأحضاني لأول مرة

ـ سامحيني يا غرام مش هعينك تاني.

أجهشت بالبكاء رغم كل شيء ، ارتوي عطشي بحضن من أبي . فكل ما أتمناه هو عودته لصوابه وقربه من الله.

نظر لأمي :

ـ سامحيني يا فاطمة أنا آسف يا حبيبتي يلا نصلي ركعتين بنية إن ربنا يخرج الشيطان اللي وسطنا ده.

وضّأ أمي بنفسه وربط لي حجابي برفق ،وطبع على رأسي قبلة ،وصلينا . شعرت حينها أنه يغتسل بصلاته من ذنوبه بالكامل تمنيت أن يكون صادقا وألا يعود لظلمه ثانيةً.

******

ذهبت للمدرسة فاتصلت بي سامية:

ـ طمنيني في إيه ؟
ـ خير عدت على خير الحمد لله ،وأنا عرفت سرك يا طنط أوعدك عمري ما هنطق وأقول لمخلوق عنه.

بكت خجلا من فعلتها .

ـ كلنا بنغلط ،بعدين هو أتجوزك ،وخلفتوا عمرو، أخباره إيه دلوقت؟
ـ كويس الحمد لله بيتحسن ممكن يقدر يلحق الامتحانات السنة دي .
ـ ممكن أكلمه ؟

أعطته الهاتف ؛ اقشعر بدني حين سمعت اسمي من فمه.

ـ أنتِ غرام البنت الجميلة اللي جتلي المستشفى ؟ تعرفي أنا حاسس إني شوفتك ،فيكِ حاجة مني.
ـ أيوة أنا غرام يا عمرو أخبار صحتك إيه؟
ـ الحمد لله رجعت البيت ماما بتقول إنك قريبتنا ممكن أشوفك تاني .
ـ حاضر هحاول والله هحاول.

أغلقت الخط ،كدت اصطدم بالحائط من الهيام ببحور عشقه ،قررت أن أحطم مقاييس الخوف فطلبت من عمرو أن يأتي للمركز الخاص بالدروس الخصوصية ،وجلسنا على اللاب توب ،فقمت بعمل إيميل جديد له نتواصل عليه يوميا.

عمرو: تعرفي إنك في مقام أختي دلوقتي مليش غيرك أنتِ وماما.
ـ كدت أبكي من وقع الصدمة أخته كيف؟ تمنيت أن أكون حبيبته ،فضحك مستنكرا أختي في الإسلام يا غرام متتخضيش أوي كده.

أكلت قطعة من البطاطس بنهم شديد .

ـ تعرف إنك أقرب شخص ليا في الدنيا بعد إياد طبعًا.
ـ مين إياد، خطيبك ؟
ـ لا حبيبي مش برتاح غير معاه بحسه ابني وصديقي وأخويا.

صمت عمرو طويلا من وقع الصدمة....

ـ ربنا يخليكم لبعض .
ـ لازم أعرفك عليه.
ـ مش هيزعل إنك بتكلمي شاب تاني.
ـ أخويا شخص متفاهم أوي وطيب لازم أعرفكم على بعض.
ـ أخوكي!!!!!
ـ هههههه أما أنت فكرت إيه يا ابني؟

أغلقت الإيميل والضحكة لم تفارق ملامحي

******

ـ إياد في حد عاوزة أعرفك عليه ممكن تقابلني بكره في النادي.
ـ حد مين صحبتك ، هتجوزيهالي ؟
ـ يارب يا حبيبتي أشوفك متجوز ومتهني وأحسن واحد في الكون كله.
ـ عمرو مش كده ؟
ـ اه يا إياد الحمد لله أتحسن أخيرا ، وأنا مبعملش حاجة أتكسف أقولهالك.
ـ ممكن تكلم بابا تقوله إني هخرج معاك بكره؟
ـ طبعا يا حبيبتي هكلمه.
ـ أبي: إزيك يا بطل.
ـ الحمد لله يا بابا ممكن طلب صغير ، عاوز غرام بكره تخرج معايا وعاملها مفاجأة ممكن نتأخر بره.

ـ براحتكم ربنا يحببكم في بعض وممكن تبقى ترجع معاها على هنا كمان فاطمة عرفت كل حاجة.

ـ تمام غرام قالتلي.

تقابلنا بالنادي تعرف كل من إياد وعمرو على الآخر ،تفاجأت من ردة فعل عمرو.

ـ عمرو: من الآخر يا إياد أنا عاوز أتجوز أختك.

ـ على طول كده مش نتغدى الأول .

ـ أنا دخلت بيتكم ،وأكلت عيش وملح واتعرفت عليك ، كمان متعودتش أعمل حاجة غلط.

ـ لكن انتوا لسه صغيرين ،وبابا مش هيوافق إنها تتجوز دلوقتي.

ـ أنا حبيت أعرفك وأوعدك إني هحافظ عليها.

ـ تمام.

ـ وأنت يا إياد مرتبط ولا لا.

ـ تلعثم لسان إياد فلم يتفوه بكلمة.

ـ غرام: لسه إياد مش عاوز يرتبط.

ـ بتشتغل إيه بقى.

ـ أنا بكالوريوس تجارة بشتغل في بنك مصر.

ـ ما شاء الله.

تبادلا أرقام الهاتف وتناولنا فطائر البيتزا ،استأذن عمرو بالرحيل لاستكمال مذاكرته .

*****

ـ أنا هروح يا إياد كده بابا هيتخانق معايا.
ـ لا كنت عاوزك تيجي معايا للدكتور ،واستأذنت بابا ووافق.

دخلنا للطبيب وعرفني من أول وهلة أنني غرام فقد حكى إياد كثيرًا عني وحزنت حين علمت من الطبيب أن حالة إياد متدهورة، شعور قاتل بالذنب تجاه موت خالد ورغبة دفينة بالموت حذرني من تركه وحيدا لقد حاول قتل نفسه، كيف أبقى بجواره وكل منا يعيش بمنزل؟! شعرت بالخوف على أخي لم يتبق لي غيره بهذه الحياة، بالتقرب منه لثقته الشديدة بي كما حذرني من وقوعه بغرامي لكنه أطمأن حين علم بمقابلته لعمرو ،وانتهت الزيارة على الاتفاق على لقاء آخر.

سرنا كثيرا بالسيارة.

ـ إحنا رايحين فين يا إياد؟
ـ أنتِ خايفة مني يا غرام ده أنا أخوكِ!
ـ لا يا حبيبي مبخافش منك .

وصلنا لصالة كبيرة مملوءة ببلونات الهيليوم ،واسمي على الحائط بماء الذهب حدقت بعيني ؛ فلأول مرة بحياتي يفاجئني أحد.

ـ ربنا يخليك ليا أنا مبسوطة أوي أوي أوي لكن إيه المناسبة ؟؟؟
ـ المناسبة هي انتصارك على مارين .
ـ إياد عملت إيه؟!قتلتها!!
ـ أنا مش وحش أوي كدا يا غرام.

الفصل الخامس

انتقام

« هناك قلوب رحيمة تأبى الانتقام وتفوض أمرها إلى رب العالمين »

كلمت صاحبي شغال في أمن الدولة ، أديته اسم الهانم ، أهلها مش في أمريكا ،أبوها في السجن بتهمه تجارة في الآثار ، و أمها هربت بهجرة غير شرعية أما هي بقى أحب أقولك إني حاولت كتير أتكلم معاها وما شاء الله الهانم معندهاش أي مانع إنها تعمل أي حاجة غلط . في النهاية لما لقتني كشفتها ومش هموت عليها زي اللي حواليها عايرتني بمرضي ،وقالتلي إنك حكيالها.

نظرت للأرض بعين منكسرة

ـ لكن أنت نسيت إني شوفتك بتحاول تقتلها يا حبيبي.

ما هذا الذي فعلته؟ جرحت أخي وزلزلت ثقة والدتي بوالدي ،وفتحت دفاتر الماضي... سقطت دمعة دافئة من عيني اختلطت بدمع إياد فقبلت يديه و ربتُ على كتفه .

ـ أنا أسفه يا حبيبي أنا غلطانة كنت فاكراها صحبتي ،وكمان هي حكتلي كتير عن والدها ،وقالتلي أسرار كتير عارف باباها جابلها إيه في عيد ميلادها!!

ـ إيه؟

ـ مكحلة دهب ،عارفة أنك مش فاهم ، يعني تحط كحل بيها في عينيها ، جابهالها غالية أوي ، وبتلمع بطريقة غريبة ومرسوم عليها بالفرعوني.

ـ ده كده من الآثار اللي بيتاجر فيها، تعرفي هي شايلاها فين؟

ـ لا كانت في شنطتها جبتها تغيظني بيها .وقتها قالتلي إن ده سر وهي مورتهاش لحد ، ده غير إنها حكتلي عن علاقة والدتها بالسواق بتاعهم. في مرة كانت راجعة بليل مع شباب صحابها فلقت نور الجراج والع ،دخلت تشوف مين جوه لقت مامتها مع السواق في وضع مش تمام ،ومن ساعتها

فقدت الثقة في الناس كلها ومامتها سابتها وسافرت ساءت نفسيتها ؛طلبت مني رقم دكتور نفسي فأنا بحسن نية حكتلها عن الدكتور اللي بيعالجك سامحني أنا راضية بأي عقاب تقوله وهي والله كانت عارفة لما ..... **خلاص يا إياد أنا أسفة.**

.

ـ عقابك إني هروح معاكِ بس بعد ما تشوفي المفاجأة ، دمعت عينايَّ حين رأيتها، كم هي معبرة! صورة كبيرة تجمعني به لأعلقها بغرفتي.

ـ أنت عارف أن دي أكتر صورة بحبها لينا.

ـ عارفة أجمل ما فيها نظرتك ليا كأني ابنك مش أخوكِ.

عدنا للمنزل وكان رد فعل أمي غير متوقع حين رأت إياد ألقت عليه السلام ،وأصرت أن يتناول العشاء معنا .

ـ شكلك طيبة أوي يا طنط .

ـ يا حبيبي أنت زي غرام ربنا يحميكم.

ـ لازم تتعرفي على ماما هتحبيها أوي.

نظرت له أمي وهي تفكر في كلامه هل ستتحمل مقابلة زوجة ثانية لزوجها فهي تغار من همسات الأخريات أمامه ، تغار من المياه التي يغسل بها يديه ،كيف تتحمل هذا الموقف الصعب ؟! بعد تفكير طويل قررت أن تقابلها.

****

رجل في نهاية الثلاثينيات شعره كثيف يجلس تحت شجرة بإحدى المصحات النفسية يتذكر ما حدث له فصرخ : دينا دينا!!! سأقتلك. قام الممرضون بإعطائه صدمات كهربائية فغرق في دمعه مع آهات الوجع يتذكر مأساته.

من سيكون هذا الشاب ؟ ما الذي وصل به لهذه الحالة ؟ من هي دينا...؟

****

من سيكون هذا الشاب ؟ وما الذي وصل به لهذه الحالة؟ ومن هي دينا..... ؟ لا أعلم! كل ما أراه نظرة الحسرة بعينه ودموعه التي تتلألأ في طرف عينه تأبى النزول تظهر غصة قلبه بملامحه الحزينة ونظراته المملوءة بالخوف.

****

أتت زوجة أبي إلى أمي، جلسنا معا كأسرة واحدة . لم تخلُ مقابلتهما من نظرات الغيرة فكل منهما تسأل نفسها ما الذي يميزها عني ؟ كل ما لاحظته هو خوفهما الشديد من أبي فكل منهما تتحدث بتوجس شديد . لم أنكر غيرتي على أبي رغم علمي بوجود زوجة أخرى بحياته لكنه لم يبتعد عنا رأيت بملامحها أبي ، رأيته معها يضحك ،ويتغزل ،كدت أقتلها لأطفئ نيران قلبي كم تمنيت أن أحجز أبي كعصفور بقفص من حديد كي لا يفارقني، أعلم أنني أنانية لكنني فقط أنثى تعشق والدها، لاحظ الجميع

تغيّر ملامحي لكن جمرات قلبي تقاذفت إلى مسامع عمرو حين اتصل بي .

ـ نعم يا عمرو عاوز إيه أنت كمان؟
ـ مالك يا غرام متضايقة كدا ليه ؟ صوتك مخنوق ليه؟!
ـ كنت متخيلة إني مش هضايق لما طنط مرات بابا تيجي عندنا لكن مهما وصفتلك عمرك ما هتحس بشعوري ، لأول مرة أحس بابا بعيد عننا حاسة إنه سافر، مشي من حياتي فجأة ، وبقاله عيلة تانية مع إني كنت عارفة بس ياما كدبت نفسي ،منكرش إن مشاعري تجاهه مش صافية تماما لكن دا بابا يا عمرو عارف يعني ايه بابا..
ـ لا معرفش ، لأني مش فاكر أبويا مات قبل ما أشوفه محستش بحنانه كل ما أشوف حد بينطق كلمة بابا أحس بضيقة ،وأرددها بيني وبين نفسي يمكن أرضى بنصيبي وميبقاش واحشني كدا كل اللي باقيلي منه صورة ، حتى أهله مبيسألوش عني.
ـ وجعت قلبي كنت فاكرة أني في أكبر أزمة في الدنيا لكن الحمد لله مجرد نفسه في الدنيا مريحني وبعدين تعال هنا يا سي عمرو هو أنا مش محسساك بالحنان ولا إيه؟! عمال تتكلم عن مشاعر حزينة وأنا إيه بقى؟
ـ أنتِ قلبي وحناني ،أنتِ نبض روحي يا عمري، أنتِ كل حاجة حلوة حصلتلي..
ـ هدوخ كدا على فكرة يا سي عمرو كفاية.

أغلقنا الخط ،وخرجت من غرفتي ،الضحكة لم تفارق ملامحي.

ـ إياد: خير يا هانم مش كنتِ لابسالنا الوش الخشب.
ـ هههههه أنا ؟ محصلش يا ظالم.
ـ كلمتي عمرو صح.

لكمته في كتفه كي لا يسمعه أحد ،اتفقتْ والدتي وزوجة أبي على اللقاء الآخر.

ـ ماما: تصدقي سعاد طيبة خسارة في أبوكِ ،وشكلها شايلة منه زينا.
ـ تفتكري يا أمي هي عارفة السر اللي إحنا عارفينه .
ـ مظنش .

*****

في طريق إياد ووالدته للمنزل حادث مريب ، سيارة بها شاب و فتاة انقلبت. نزل إياد من السيارة ليساعدهما فوجد الفتاة تصرخ: يارب

ـ يارب مش عاوزة أموت دلوقتي هصلي والله ،هتقي الله، يارب مموتش أنا مش مستعدة أقابلك.

كانت أشلاؤها تملأ السيارة ،غارقة في دمائها حاول إياد مساعدتها .

ففوجئ أنها مارين حاول أن يلقنها الشهادة لكنها فارقت الحياة بعد مرور دقائق معدودة.

ـ غرام أنا راجعلك ، البسي بسرعة جاي أخدك.
ـ في إيه يا إياد خير ؟
ـ بصي يا حبيبتي مارين عملت حادثة وتوفت .

شهقت ووضعت يدي على صدري هل الموت قريب لهذه الدرجة ؟ وانتابتني حالة من البكاء الهستيري ورغبة دفينة أن أراها للمرة الأخيرة أرتميت على فراشي .

ـ مالك يا بنتي في إيه؟

ـ مارين ماتت يا ماما أنا هلبس وهروحلها.

ولأول مرة تقسو علي أمي ، فامسكت ذراعي بقوة ،ويدها الأخرى تلتف حول شعري.

ـ تروحي لمين نسيتي اللي عملته ولا إيه مش هسمحلك تنزلي.

أتى إياد ودق الباب فسمع صوت صرخاتي ففتحت أمي بالكرسي المتحرك لم يتحدث معها بل أخذني بين ذراعيه.

ـ أمي: معلش يا إياد غرام مش هتروح معاك.

فتحدث بهدوء شديد

ـ يرضيكِ البنت تموت ومتلاقيش حد يدفنها أهلها مش هنا لو هنفكر بالرحمة هندفنها ونكرمها بعد موتها لو في الأصول مينفعش نسيبها لوحدها

ـ أنت عارف أختك بتتأثر ونفسيتها هتبوظ لو شافتها كده.

ـ سيبيها علي الله وعليّ.

أخذني أخي لمكان الحادث مازال وجهها مغطى بورق الجرائد ،غارقة في الدماء فكشفت وجهها وجلست على الأرض.

ـ مارين قومي يا حبيبتي مسامحاكِ على كل حاجة والله ، ارجعيلي تاني أنتِ صحبتي الوحيدة، ماارين ماارين وتلاشي صوتي حتى غبت عن الوعي أخذني إياد للمشفى أخذت مهدئات كثيرة وكلما استيقظت أقطّع أسلاك المحاليل وأصرخ .

جاء أبي، ولأول مرة يرى إياد نظرة الانكسار في عين والده، ما أحزن موقفه! ولده الأكبر يرقد بمستشفى الأمراض العقلية بعد أن تعرض للظلم منه، وابنته يكاد أن يفقدها.

حكى إياد ما حدث:

- إياد: صِحِيت في يوم على كابوس كنت خايف أوي جريت على أوضة بابا اترمي في حضنه لقيتها هي جمبه .
- غرام: مامتك كانت فين؟
_ ماما كانت عند تيته عشان تراعيها لأنها مريضة.

صرخت جه أخويا شافها معاه مقدرش يتمالك أعصابه جرى جاب سكين من المطبخ ،لكنها لفت إيده فقتل نفسه.

في هذه الأثناء أخذ أبي أخي لشقة بمكان مجهور يملؤه التراب تمت معالجته على يد طبيب غير مختص نظرا لتعليمات أبي وحين تعافى إلى حد كبير.

- خالد: مش هسيبها يا بابا هقتلها دمرتني كانت هتقتل إياد ،وكمان قتلت ابني والله لأقتلها والله لأقول لماما تعرف جدو وأنت عارف جدو هيعمل فيها ايه.

حاول أبي أن يهدأه لكنه فشل بذلك فذهب للمشرحة وأخذ جثة شاب مقتول ورسم الحزن الزائف على وجهه واتصل بزوجته

_ البقاء لله يا سعاد ابنك خالد توفى في حادثة وهو في المشرحة ملامحه مش باينة.

اصطنع أبي البكاء ، حبيبي يا خالد الله يرحمك يا ابني ، فصدقت والدته لطيبتها الزائدة تم دفنه ولكن اكتشف أهل الشاب اختفاء جثة ولدهم فقاموا بتقديم بلاغ باختفاء ولدهم وتم تدوين الاختفاء بمحاضر الشرطة.

أما خالد فقام أبي بدفع رشوة كبيرة لأكبر المستشفيات النفسية والعقلية ليسطوا على حياة أخي طيلة العمر .

ـ ياا الله ما هذا الرجل متعدد الشخصيات ، متباين الأحاسيس ، غريب الأطوار فيليهديك الله يا أبي .

ـ تذكر أبي خالد فحزن خشية من أن يعاقبه الله بأخذي منه .لحظات رتيبة مرت على الجميع وكانت المفاجأة مجيء عمرو للمشفى جاء يلهث و يتفقد أرقام الغرف بحثا عني وفجأة ظهر أبي صوب عينيه.

ـ عمرو فيك الخير يا ابني لكن عرفت منين إن غرام هنا ؟

تلجلج عمرو وحك رأسه بيده

ـ أبدا كنت في عزا مارين صاحبة غرام مع إياد .

ـ آه ده ابني البقاء لله يا عمرو أنا كنت شوفتك مع مارين كذا مرة وعرفت إنكم كنتوا مرتبطين عاطفيًا.

رجع عمرو بذاكرته للوراء ، صمت تماما حين تذكر بالفعل كان يحبها كيف ؟ وكيف تحملت غرام أن تراه يعشق غيرها ؟ كيف تحملت رؤيتهما بأوضاع العاشقين دون أن تنطق؟ تزلزل كيانه حسرة على ظلمه لحبيبته . ها هي غرام حب عمره الذي ظهر على غرة وأضاء حياته ترقد على سرير المرض، تعاد الكرة من جديد مع تغيير الشخصيات بعد حادثة عمرو، دخل عمرو الغرفة ووقف إلى جوار غرام همس في أذنها:

ـ حبيبتي سمعاني، غرام هموت من غيرك يا قلبي بالله عليكِ قومي بقى بسرعة كلميني كلمة واحدة بس قبل ما أبوكِ يجي، شَعَرْتُ بوجوده ففتحتُ عيني مازلت لا أرى سوى صور مشوشة ونطقتُ اسمه برقة بالغة:

ـ عمرو أنت هنا؟!

ـ اه يا حبيبتي أنا جمبك.

دخل سامي الغرفة فابتعد عمرو بسرعة عنيووضع طاقة الورد إلى جواري فافتعلتُ النوم حين رأيت والدي يدخل الغرفة من جديد.

أتي إياد يطمئن على وضعي الصحي ويُطمئن والدتي التي كادت أن تحطم الأرض حسرة على ابنتها ...نظرتُ لإياد:

ـ إياد ممكن متقولش لبابا إني فوقت .

ـ غرام حبيبتي أنتِ فوقتي أحمدك يارب أنا جربت الفراق لما مات أخويا يارب متحرمنيش من أختي يارب.. بس ليه مش عاوزة بابا يعرف يا غرام ده خايف عليكِ أوي.

ترددتُ كثيرًا قبل أن أبلغه بأمر خالد لكنه لمح بعيني هروبا من نظراته

ـ في إيه يا غرام؟

ـ عاوزة أقولك حاجة لكن خايفة عليك، أنا وماما شاكين إن بابا مخبي علينا حاجة، في يوم بابا جاله تليفون فخرج بسرعة خرجت وراه المهم دخل مستشفى كده بتاعت أمراض نفسية وعصبية أستنيته بره ولقيته بيسلم على الناس بعشم كأنه بيجي هنا من سنين كتير دخلت المستشفى وأديت الممرضة ١٠٠ جنيه فقالتلي إنها هتوديني عند المريض اللي بابا بيجي يشوفه فضلت أبصله من بعيد ، مش عارفة إيه شدني إن أتكلم معاه مخفتش منه ، سألته عن اسمه قالي خالد وبالفعل أتاكدت أن ده خالد أخونا.

ـ خالد إزاي خالد خالد معقول ،سقط إياد أرضا وانتابته حالة من التشنجات ضغطتُ على زر الجرس أطلب المساعدة، حملته الممرضة وهدأته بعد ساعات.

اتصلت بالطبيب المعالج له فأتى في الحال ليتابع حالته.

ـ أخويا لسة عايش ليه سابني أحس بنار فراقه ده حتى مرضيش إننا نعزِّل أنا كل ما أبص لسريره بفتكره بشوفه بيضحكلي يا غرام ليه دا مستحيل يكون أب .

ـ فوقلي يا إياد بيه المهم عاوزين نعرف ممكن تكون دينا فين .أخوك لا حول ولا قوه إلا بالله بيردد طول الوقت اسمها وعاوز يقتلها لازم ننقذه لازم نتصرف.

ـ أكيد بابا اتخلص منها زي ما اتخلص من خالد.

ـ لازم أقول لماما إن خالد عايش.

ـ لازم محدش يعرف غيري أنا وأنت عشان نفكر صح.

ـ غرام: بس يا إياد أنا اتصلت بالدكتور بتاعك وهو جايلك.

ـ إياد:كتر خيرك في أدوية كتير مينفعش إن مريض الاكتئاب ياخدها لأنها بتتعارض مع المهدئات.

دق باب الغرفة فدخل الطبيب .

ـ الطبيب: مالك يا أياد قلقتني عليك

ـ خالد أخويا عايش أنا تعبت على الفاضي، خالد مماتش يا دكتور.

ـ آنسة غرام ممكن تسيبينا لوحدنا؟

خرجتُ من الغرفة وعدت بعد جلسته مع طبيبه فوجدته هادئًا تماما.

غرام: عمرو كان هنا تخيل بابا سمحله يقابلني ،بابا دا غريب أنا مش فاهماه ،مش هو دا اللي قالي هنسيكِ اسمه وهقتلك لو مبعدتيش عنه.

ـ الامتحانات فاضلها شهر خلصوا وخلي عمرو يكلم بابا ويخطبك يمكن قلبي يطمن عليكِ.

صح يا غرام عاوز أحكيلك حاجة بس أوعديني تفهميني، أنا عرفت بنت من فترة في الشغل بنتكلم على طول ومش حاسس تجاهها بالانتقام ممكن أبقي أعرفك عليها.

ـ أول مرة يا إياد تبقي عاوز تعرفني بحد لكن مش الدكتور قال مترتبطش قبل سنتين.

ـ حبيتها بجد.

سرحت في عالم آخر ما هذه الغوغاء من حولي؟ ارتعبت خشية على أخي من ارتكاب جريمة.

الفصل السادس

حسرة البعد

« هناك قلوب أقسى من الحجارة »

طلبتُ منه أن يعرفني هذه البنت لكنه رفض، بعد أن كانت هذه رغبته، ارتعبتُ: هل قتلها إياد ؟أم تركته ؟وبعد تفكير طويل..

ـ إياد لازم أعرف فين البنت اللي أنت حكتلي عنها؟
ـ الموضوع اتقفل يا غرام اخلصي بقى .
ـ مش مطمنالك ليه فجأة بتقولي مش هعرفك عليها.

أردف إياد بحزم شديد :

ـلأنها مش موجودة في الدنيا ، لأنها في خيالي بتمنى يكون ليا حد أحبه وأعرفك عليه وأتجوز زي الشباب اللي من سني ، إيه ذنبي أتحمل شيء محصلش؟ خالد عايش مماتش يمكن هو مرتاح لإنه أتجنن والمجانين في نعيم .

صفعتُه لأول مرة: متقولش على أخوك الكبير كدا أنت عارف لو مكنتش أنت دخلت أوضة بابا مكانش ده حصل ، حياته وقفت بسببك وفي الآخر تقول مجنون أنت إيه مبتحسش، أنت جربت إنك تبقى تعبان نفسيًا متعظتش .. أنت شكلك جبروت زي أبوك .

لم يلتفت إياد لصفعتيله لكنه حاول تهدئتي والتخلص من دموع القهر المرسومة على ملامحهي.

ـ أنا تعبانة يا إياد عمالة اكتشف حقايق قربت أتجنن خلاص خالد وبابا و.....

ثم صمتُ

إياد:

– ماله بابا انطقي.

– شوفت ورق عند بابا وعرفت إنه متورط مع ناس في خطف أطفال والتجارة بأعضائهم مكنتش مصدقة لحد ما عرفت موضوع خالد واللي حصل معاه ؛ خايفة أكره بابا أكتر من كدا.

ـ تعرفي تصوريلي الورق دا .

ـ الورق معايا يا إياد .

فتحتُ هاتفي وكشفتُ الأوراق أمامه .

أعاد ترتيب الصور أكثر من مرة ثم تأكد من وجود اسمها بكل ورقة ، نعم إنها دينا فمن الواضح أنه متورط معها في هذه الكارثة، كيف يسمح عقيد شرطة لنفسه أن يتجاوز ويتاجر بأعضاء الأطفال؟!

ـ أنا هواجه بابا يا غرام بالورق دا.

ـ أنت اتجننت عاوزه يقتلني حرام عليك.

ـ متخافيش أنا هقوله إني لقيت الورق دا عندنا وأكيد بابا بيشيل نسخ كتير لورقه وبعدين أكيد هو مطمن من نحيتي، هدور الأول على الورق في مكتبه.

إياد: وهو يلتقط أنفاسه مش لاقي حاجة يا غرام هتجنن مفيش أثر للورق .

ففكر أن يكذب على والده ويقول أن هذه الأوراق وصلته عبر رسالة هاتفية من رقم مجهول .

ـ بابا أنا جالي ورق يدينك على تليفوني ، لكن أنا متأكد إنك استحالة تعمل كدا قلت لازم أصارحك.

ـ خير يا إياد وريني الورق دا.

تفقد الصور وبصوت جهوري: يا سافلة يا دينا هقتلك كان لازم أقتلك من الأول منفعش التهديد يبقى هقتلك.

ـ بابا مين دينا وتهديد إيه؟!

_ فاكر يا إياد زمان الحادثة اللي حصلت قدامك لخالد ساعتها دينا هددتني بالورق دا التخلص من خالد أو هتحبسني بالورق دا لأنها كانت على علاقة بشخصية مهمة جدا في البلد وقتها ، ملقتش حل غير إني أحجز خالد في مصحة نفسية لكن قلبي محروق عليه أنا بقسى طول الوقت على الناس اللي حواليا أنا أستاهل أتكره من كل الناس ، بتمني أموت من وقت للتاني بروح أزور خالد وأشوفه قابلته مرة لكنه للأسف مش عارفني.. بكى سامي لتذكره هذه اللحظة الأليمة .

اتصلتُ بعربة المشفى فأتوا ليأخذوا فلذة كبدي من بين يدي خدعته بالسفر للإسكندرية ، لكنني نصبت له فخا مازال رنين كلمته بأذني...

_ بابا حرام عليك يا بابا ، هم هيودوني فين ؟ والله ما هأذيك والله ما هنطق.
ظل يصرخ حتى ظهر مفعول المنوم فنام والدمع يسقط من عينيه .
_ يااااه أخويا عايش يا بابا ،أنت مش بريء أنت غلطان قضيت على أخويا ونهيت حياته كنت دخلت السجن فيها إيه يعني لكن هو خلاص أتجنن ،بقى مريض ، حرام يا بابا سنين عمره ضاعت ، حرام عليك .
_ أجهش سامي بالبكاء ، متحملنيش فوق طاقتي يا ابني كفايه انتقامات ربنا مني أنا غرام بتكرهني وأمها كمان وأنت مريض وأمك مش مرتاحة معايا أنا شخص مكروه ، ربنا لعني وعاقبني بلعنة الكره ؛ بسبب خالد يارب خدني يارب .

وهنا سقط سامي أرضًا فتوجه به إياد للمشفى.

- الطبيب: المريض مصاب بجلطة في القلب لازم يدخل الرعاية المشددة.

اجتمعت الأسرة كلها حول سامي ..كنتُ فاقدة للوعي، لا أبكي ولا أصرخ بل صامتة أتربص حالة فقدان سندي بالحياة، رغم قسوته كنتُ أعشقه .

إياد يراقب جهاز القلب .. وفجأة صرخ إياد دكتور النبض وقف الحقنا بالله عليك أبويا بيموت .

– غرام : اسكت متنطقش متقولش بابا بيموت.. لأ .

جريت نحو الطبيب ألاحقه: أنا ماليش غيره مش هيموت .خرج الطبيب بعد دقائق

ـ متقلقوش يا جماعة الحمد لله النبض رجع .

لكنه بيردد اسم سعاد شكله عاوز يقولها حاجة .دخلت سعاد الغرفة بعد أن هندمت ملابسها وكفكفت دمعها

ـ خير يا حاج سامي!

ـ أنا ظلمتك سامحيني ابنك خالد عايش لكنه في مستشفى نفسية من سنين.

ارتسمت على ملامحها آلاف الكلمات الحزينة لم تنفوه بكلمة ولكن نظراتها قالت الكثير والكثير. خرجت من الغرفة متجهة إلي خارج المشفى.. مشت لفترة طويلة لكنها لا تعلم إلى أين تذهب؟ ولا من أين أتت ؟ توقف عقلها وفقدت السيطرة على حالها ، لم تنهض من غفلة روحها إلا على صوت فرامل سيارة.

ـ إيه يا ست أنتِ مبتشوفيش .

ـ أنا أسفه يا ابني حقك عليا .

تلعثم لسان السائق حين انهمرت بحور الدمع من عينيها ، اعتذر بآلاف الكلمات .

اتكأت على شجرة تتذكر لحظة خروج جثة من المشرحة ظنتها ابنها ياااا لحسرة قلبها حينها باتت تأخذ تراب الأرض وتضعه على رأسها تصرخ وتصرخ ويلتوي جسدها أمام الجميع لم ترغب بترك ولدها بالمقابر تعلم إنه يخشي الظلام .

حين مكثت شهورًا لم تتحدث مع أحد وذبلت عيناها من كثرة الدمع ، كيف تحمل سامي أن يرى أمًا تنهار بهذه الطريقة ويتركها تموت لوعة ؟!

باتت تنادي الجميع باسمه واقتصر الكون على موت خالد لتتوقف علاقتها بأخيها، تذكرت لحظة وفاة والدتها وهي تردد خالد في الجنة اطمئني يا ابنتي ثم فارقت الحياة لتسقط سعاد في شباك الوحدة.. نهضت من غفلتها

بحثت بخزانتها عن هاتفها لكنها لم تجده: يا الله إياد هيقلق عليا دلوقتي الحل إيه؟!

أَقَلَّها تاكسي واتجهت به مرة أخرى للمشفى.

إياد يلهث أمامها .

_ أمي كنتِ فين أنا جريت كتير من هنا للبيت بدور عليكِ بابا عمال يصرخ ويقطع الأسلاك ويقول سامحوني هو قالك إيه؟!
_ قال إن أخوك خالد عايش.

تعجبتْ من ردة فعل إياد فهو لم يتفاجأ!!

ـ إياد أنت كنت عارف؟
ـ غرام قالتلي من يومين بس.
ـ مش هسألك عرفت إزاي كل اللي بتمناه ألمح ابني حتى لو من بعيد.
ـ ليه من بعيد أنا هخرجه من المستشفى وهضرب ورق إنه مخرجش عشان بابا ميتأذيش.
ـ فهمني إيه علاقة أبوك ؟ وإزاي هان عليه ابن عمره وأول فرحته ؟

لم يكشف إياد سر والده ، لكنه هدأ أمه وتوجه معها إلى المصحة النفسية. نظرت في وجوه المرضى لكنها دققت النظر بملامح خالد وجرت مسرعة بأحضانه.

ـ خالد ابني وحشتني يا نور عيني كبرت وبقيت راجل.
ـ هقتلك يا دينا هقتلك وأقتله .. وبدأ بقذف جمرات الحجارة على أمه وأخيه
توجهت سعاد للطبيب
ـ ممكن أفهم حالة خالد أنا والدته؟
ـ كنتِ فين طول العمر دا ابنك كان جاي سليم ابنك تعب من وحدته ،ابنك تعب من شوقه ليكم ملقاش حضن يحتويه عمره ضاع وسط المرضى.
ـ أنا ممكن أسفره بره لو دا هيساعده.
ـ اهتمامكم بيه هيرجعه لطبيعته.

انطفأت نيران قلبها بعد أن رأت ولدها لكن مازالت تتعجب لماذا يهتف باسم دينا لماذا ؟؟؟

تعافى أبي تمامًا لكنه تحول إلى شخص مسالم ، وبعد انتهاء فترة الامتحانات قرر عمرو التقدم لخطبتي فهو الآن بكلية الهندسة .

ارتدى بنطالًا أسود وقميصًا زهريا ،وهندم شعره الأسود وجاء في تمام الساعة الخامسة مساءً وفق اتفاقه مع أبي.

ـ عمرو: أنا بطلب منك إيد غرام
ـ أنت لسه صغير وأنتم من سن بعض وده مش كويس الست بتعجز قبل الراجل هتكبر قبلك اصبر كام سنة ونتكلم تاني في الموضوع ده.

لم يطمئن عمرو لنبرة صوته أما سامية لم تتفوه بكلمة بل اكتفت بنظرات الاحتقار لسامي ثم جلست مع فاطمة.

ـ سامية: إزاي تعرفي إنه كان متجوز ومتطلقيش منه هو اشتَراكي أنتِ ليه متحملة كل دا ؟
ـ متحملة عشان بنتي عشان أخوها غلبان وكمان مراته طلعت طيبة أوي جت عندنا.
ـ هكذا قالت، أما من دخلها فامرأة أخرى تصرخ من سوء معاملته لها!!
ـ أنتِ اتجننتي يا فاطمة تقعدي مع ضرتك عادي كدا وتدخليها بيتك ربنا يسترعليكِ والله مش متطمنة لهدوء أعصابك دا.

وبعد مرور ستة أشهر تقدم شخص لخطبتي فألح علي والدي أن أتزوجه فلم أجبه بل اتجهت إلى عمرو

ـ غرام: جايلي عريس وبابا موافق.
ـ مش هسمح لحد ياخدك مني أنتِ بتاعتي يا غرام .

كلما تحدثتُ مع عمرو تسألني أمي هل أخبرتيه؟ أجيبها: لا ،لا أقوى على البوح لحبيبي بجلوسي مع آخر، تقبلت منه نظرات إعجاب ،نعم أنا خائنة ، خنت عمرو حب كل حياتي وأول من دق باب قلبي، صدمته كما صدمته مارين ماذا لو فقدته ؟ أعلم أنه طائش.

اتفقنا على موعد تقابلت مع عمرو بعد مقابلتي لأحمد وسرق عمرو رقم هاتفه من هاتفي .

وأرسل له رسالة (ابعد عن غرام وإلا عمرك هيكون الثمن).

لم يصغ الشاب لهذه الرسالة بل واجهنيها فتجاهلت الأمر وتحدثت بكل ثقة أني غير مسئولة عنها ولكن تكررت أكثر من مرة وفي يوم ما تغيرت مع عمرو، شعر بلهجة غريبة في حديثي فأدراك أنني أداري شيئًا ما.

- عمرو: قوليلي بتتهربي مني ليه؟ مخبية عني إيه ؟
- غرام: ولا حاجة خالص مفيش.
- لكن إياد قالي غير كده.
- والله كنت هقولك لكن كل ما أجي أنطق أحس بحاجز بيني وبين الكلام حاسة إني صلبة زي الحديد ، إزاي أقولك كدا مش قادرة يا عمرو نفسي كلكم تفهموا إني مش حجر أنا بحس زيكم والله.
- إياد يا هانم قاللي إنك ساكتة طول الوقت ومبتكلميش معاه لكن واضح إن في حاجة أنتِ مخبياها عني.

التقطتُ أنفاسي بصعوبة.

الفصل السابع

ارتعاشة قلب

« حين يعشق المرء يتحول لشخص آخر قادر على فعل كل شيء للاحتفاظ بمعشوقته »

ـ بص يا عمرو بابا أتفق مع والد أحمد وخطوبتي الجمعة الجاية.

شعر عمرو بكئوس زجاجية تنكسر بقلبه فتجرح مشاعره وبلحظة سيفقد حبيبة عمره ، تظاهر بالرضا بالأمر الواقع..

في يوم الجمعة ذهب لمنزلنا ومعه صاعق كهربائي وبنج، هذه أسلحته المتاحة ؛ لفقره الشديد . انتظر أحمد يصف السيارة وبعد أن صعد الجميع كمم فمه ببنج وأخذه بسيارة سوداء لمكان شعبي.

- أحمد: أنت مين ؟ وعاوز مني إيه؟
- عمرو : عاوز قلبي أنت أخدته من غير أذني ترضى أخد منك نفسك ،ترضى تديني حياتك هي كل حياتي .

أجهش عمرو بالبكاء فقط أريدها بقلبي لا تلمس ذلك القلب الذي يسكن بين أضلعي لا تمس أنوثة فتاة وهبتني الحياة بمجرد وجودها إلى جواري .

- أحمد: لكن لما سألتها بتحب حد ولا لا قالتلي لا وبتكلمني كويس .
- عمرو: أكيد خايفة من والدها.
- أحمد: يا كابتن مفيش حد دلوقتي بيتجوز غصب عنه .
- عمرو: غرام بتحبني متضحكش عليا ،سامي هو اللي غصبها .

ثم حاول عمرو أن يظهر الشخص القاسي بداخله فوضع لازقا على فم أحمد وصفعه أقلامًا متوالية ومن شدة الحزن كانت شفتاه تهتز دون إصدار صوت لحديثه، كل الظاهر أمامه مجرد شخص عبوس حزين يصرخ دون إبداء صوت .

لكنني شعرت بقلبه يهتز فيُحدث بركانًا بقلبي ليصرخ بأعلى صوت لديه غرااام غرااام أحبك.

******

يجلس الجميع بمنزل العقيد سامي على أحر من الجمر لم يصعد أحمد هل أصابه مكروه ؟ نوبة من القلق الشديد .

لكنني لم أتوقع للحظة أن عمرو سيخطف أحمد . من أين أتى بهذا القلب الميت ؟ من أين أتى بهذا التفكير ؟

اتصلت بعمرو وعيناي تنطقان فرحا.

ـ العريس طفش الحمد لله.
ـ مطفشي يا حلوة أحمد بيه معايا طمني أمه عليه.

عبستُ وتوالت دقات قلبي كالطبول خوفًا على عمرو من نتيجة فعلته، فأنا أعلم مدى نفوذ والد أحمد وقسوة والدي.

ـ ليه عملت كدا أنت مجنون دا ابن وزير إزاي تعمل فيه كدا؟
ـ أنتِ خايفة عليه يا هانم أقسم بالله أقتلهولك يا غرام. صح ابن وزير لكن أنا ولا حاجة
ـ خايفة عليك أنت لو أبوه عرف اللي عملته فيه هيلبسك مليون قضية.
ـ مفيش حاجة أصعب من بعدك .
ـ سيبه يا عمرو ربنا يهديك.
ـ مش هسيبه سلام.

والدة عمرو في غاية القلق على ولدها بعد أن دمعت عيناها واغروقت بالدماء حزنًا على فقد حبيبته لكن توقف قلق الجميع حين أتت رسالة نصية لسامي من عمرو

(العريس معايا وأنا عمرو اقتلني أو اقتله لكن ياخدها مني يبقي موتي أرحم)

ـ سامي : أطمنوا يا جماعة أحمد بخير.
ـ والد أحمد: لكن عرفت منين يا سامي ؟
ـ سامي : ساعة زمن وهرجع بابنك .

اتصل بعمرو ليتفاوض معه

ـ سيب أحمد إحنا مش قد أبوه يا ابني قولي عنوانك وأقسم لك بربي ما هأذيك ، سلمني أحمد بس وأنا هقولهم إنك مجنون وهعتذر ، كل لحظة الموضوع بيكبر مننا .

فظهرت أمام عمرو فتاة جميلة تتمايل على أغصان الشارع وسمعت بمحض الصدفة الحديث بينهما فتوجهت لعمرو وتحدثت بصوت رقيق كعصفور يغرد :

ـ أنا سمعت المكالمة بدون قصد لكن هنصحك نصيحة صغيرة لو بتحبها سيبها تتجوز ، سيبها تعيش حياتها ، هتستفاد إيه غير إنك هتبقي مجرم اسمع كلام أبوها الله يهديك.

ظل عمرو طوال الليل يفكر في حديث هذه الفتاة التي لا يعرف حتى اسمها لكنه تصرف كطفل يصغي إلى كلام والدته، فك قيود أحمد وأخبره

بقصته كاملة معي ومدى عشقه لي وترك أمامه الخيار يسامحه أو يعاقبه لكنه لن يترك نفسه ذليلًا بيد سامي ، فتفاهم أحمد مع الأمر ورحل دون إيذاء عمرو ليس فقط بل بات صديقًا له ووعده بمساعدته للحصول على وظيفة فور تخرجه . لكن بعد ما دار لم يعد عمرو شغوفًا بي هناك رجل آخر رآها كزوجته وأراد أن يتزوجها فأهم ما يميزني في نظر عمرو هو قلبي البكر وتصرفاتي التلقائية. لا يعلم متى كبرت هذه الطفلة؟

تعجب سامي من عودة أحمد مسرورًا ولم يصبه مكروه.

- سامي: كنت فين يا أحمد قلقتنا؟
- أحمد: ناس صحابي كلموني كان لازم أمشي .
- سامي: طب وغرام والخطوبة؟
- أحمد: غرام متلزمنيش مقبلش أتجوز واحدة قلبها متعلق بغيري أنا مش بديل وعمري ما هكون كدا.

استشاط سامي غضبًا فذهب لبيت سامية يركل الباب بقدمه

_ ابنك مش قدي عشان يتحداني بيسوأ سمعة بنتي مش كفاية خطوبتها اللي مكملتش والعريس اللي خطفه.

_ خبطت سامية على صدرها: خطف مين ؟! ابني لا يمكن يعمل كدا.

_ أنا بحذرك هكسر عينه هقوله عن عملتك بتاعت زمان.

باتت ترجه بين يديها يمينا ويسارا

أنت مجنون خلاص دا مات واتجوزني بعدها أنت إزاي عندك طاقة ذل رهيبة كدا!! أبوس رجلك كله إلا كدا ابني لأ .

ـ ركلها بقدمه يبقى يحترم نفسه وميتعرضش لأسياده .
ـ أنت عارف لو بنتك آخر بنت في الدنيا مش هجوزها لابني متخافش وبطل ذل فيا على الأقل أنا غلطت وصلحت غلطي لكن أنت لسه بتغلط بتاخد أطفال من أهلهم وتاخد أعضاءهم.

كمم فمها ..

ـ اخرسي مين قالك كدا أكيد غرام وفاطمة

الكلام دا كدب أنا برئ وابني إياد عرف إني برئ أما غرام هانم وأمها حضري نفسك لعزاهم .

مشي سامي والشر يتطاير من عينيه اتصل بإياد.

ـ إياد قابلني حالا عاوزك في حاجة مهمة أوي.
ـ أنا عند غرام يا بابا وحشتني وجيت أشوفها.
ـ وحشها الموت المجرمة استناني أنا جاي.

أتى سامي وبلهجته الصارمة:

ـ مين قال لسامية على موضوع تجارة الأعضاء؟
ـ فاطمة : أنت بتتكلم عن إيه مش فاهمة حاجة!!

وهي تصرخ من الداخل : كفى سئمت من صراخك الدائم ،سئمت من العيش مع رجل كل ما يملكه هو صوته، ليتني أحطم حنجرتك وأصيبك بالبكم كي تتنحى عن إيذائي بصوتك المرتفع ،كف عن جرحي، فقط اصمت ودعني أتحمل آلامي لاستكمل حياتي بنصف ما تبقى مني.

ـ ممكن تكوني صادقة لكن غرام هانم أكيد هي اللي قالت للشحات بتاعها.
ـ غرام: بابا أنا مقلتش لحد حاجة أرجوك متأذينيش بالله عليك سيبني يا بابا والله ما قولت حاجة.
ـ سامي: أسيبك ، آه هسيبك لكن هعرف أحرق قلبك إزاي.

الفصل الثامن

حسرة

مازال هناك غصة بقلبي، هل ستزول مع الأيام؟؟

طلب من إياد أن يضربني بالرصاص، مسك إياد المسدس وحاول الضغط على الزناد ودموعه تغرق الأرض لكنه مجبر فوالده يضع مسدسًا آخر خلفه ويهدده .

– غرام : هتقتلني يا عمري هتقتل أختك أنت أغلى من روحي يا إياد .

نهض إياد من مقعده ووجه المسدس برأس والده وأمرني بالهروب

ذهبتُ إلى بيت عمرو لأختبئ من بطش أبي، تعجبتُ حين أتى عمرو ، ولم يتفاجئ بوجودي، نظر إليَّ بفتور وتركني، ومن خلال تجسسي عليه أدركت أنه على علاقة بأخرى فتحولت لشخص آخر. أذهب يوميًا للنادي ثم أعود للشقة الصغيرة التي استأجرتُها ويأتي إياد من وقت لآخر ليطمئن عليَّ .

لم أتحمل ابتعاد عمرو عني فبتُ أدخن السجائر أتأخر خارج المنزل وأمرت صديق لي بمراقبة عمرو وتبين لي أنه على علاقة بفتاة تدعى سمر وقررت أن أثأر لغيرتي منها فأرسلت لها مجموعة من الشباب ليهددونها لكنها حاولت الدفاع عن نفسها وهربت منهم.

اتصلتْ بعمرو وأخبرته بما حدث فجن جنونه وذهب معها للقسم للإدلاء بمواصفاتهم في محضر رسمي لكنه صمت تمامًا حين قالت الفتاة تهديدهم لها بالقتل إذا تعرضت لغرام.

– عمرو : ليه مقلتليش إن الناس دي جابوا سيرة غرام وإزاي تخليني أجي معاكي لحد هنا عشان أعمل فيها محضر .

– سمر: وأنت يهمك إيه مش خلاص نسيتها أما كلامك ليا دا إيه ؟!
– عمرو: مهما عملت مش هنساها ولو نسيتها عمري ما هأذيها غرام دي أكتر إنسانة وقفت جنبي لما كنت في المستشفى دي غرام يا سمر .
– سمر: أنت إزاي قدرت تخدعني كدا قولتلي إنك نسيتها وإنك معجب بشخصيتي ، وهمتني إنك خلاص حبتني جاي دلوقتي تقولي زعلان على غرام.
– عمرو : انتهينا أنتِ كدبتي عليا زي ما هي كدبت مقولتليش إنك هتقدمي المحضر فيها وهي مقالتليش إنها هتتخطب غير لما ألحيت عليها.

تركها عمرو وهو مشتت الذهن ماذا يفعل يترك سمر ما ذنبها فهي من أنقذته من شره كاد أن يرتكب جريمة لكنه لم يعدها بشيء فقط أراد أن يثير غيرة غرام .. أيا كان السبب هذا لن يعطيك الحق للعب بمشاعر أنثي لا ذنب لها سوى أنها أرادت مساعدته. استوقف صوت ضميره اتصال سامي

ـــ غرام فين ؟ أنا قلبت الدنيا عليها مش لاقيها ، لو عرفت إن أمك بتشغلها في الحرام زيها مش هسيبكم.
ـــ حرام إيه ؟؟ أنت إزاي تتكلم على أمي كدا أنت فاكر نفسك مالك الكون كله ، ارحم نفسك بقى لو جبت سيرة أمي تاني هقطع لسانك يا حقير أنت.

لم يمر كلام سامي مرور الكرام على مسمع عمرو لكنه ترك عقله للحظات واتصل بإياد:

ـــ إزيك يا إياد أخبارك إيه؟
ـــ أهلا يا عمرو بيه أختي هربت من البيت بسبب والدتك وبابا كان هيقتلها أختي عايشة لوحدها وتصرفاتها مش طبيعية.

ـ عاوز أفهم في إيه ؟ أمي عملت إيه ؟ سامي يقولي أمك شغاله في الحرام وأنت تقولي بسببها أختك هربت.
ـ أولا بابا اسمه العقيد سامي أو عمي يا عمرو بيه .ثانيا: شكل مامتك مدارية عليك حاجات كتير أوي .

ذهب عمرو لوالدته والشر يتطاير من عينيه .

ـ أنتِ مدارية ايه عليا يا أمي لازم أعرف؟ سامي بيقولي إنك شغالة في الحرام. استني لحظة يا ماما غرام كانت هنا ليه سابت بيتهم طب إزاي متقوليليش، إزاي جرحتها أنا شبه طردتها وهي لجأتلنا أكيد في سر أنتِ مخبياه عليا انطقي يا ماما ساكته ليه ؟؟
ـ غرام قالتلي على حاجة تخص أبوها وهو عرف فكان هيقتلها وإياد أخوها هربها لكن أبوه مأذاهوش لسبب أنا معرفوش.
ـ عاوز أعرف إيه شغالة في الحرام دي أنا راجلك دلوقتي قوليلي بتعملي إيه ؟

لطمت وجهها عدة لطمات وشقت ملابسها وكأنها تقف على جمرات من النار.

ـ دي أخرت تعبي في تربيتك يا عمرو بتشك فيا يا ابني.
ـ طب ليه بيقول كدا أنا حسيت إنه كاسر عيني احكي بقى.

روت له : «كنت أعمل مع فاطمة ممرضة في مستشفي صغير،ووالدك كان معنا قبل أن أتزوجه، جاء بوليس النجدة فجأة فرآني سامي مع والدك بوضع مخل بالآداب، أمّا فاطمة فهي من أخرجتني من هذه الكارثة حين تعاطف سامي مع دمعها وأيقن براءتها فمنذ لحظة القبض علينا وهي تبكي وتصرخ ،أصيبت بهيستريا ؛عشقها سامي وخرجت من القضية لم تتصور كيف كان والدك حريصًا على خروجي براءة فقد كنت حُبلى وهو متزوجني

عرفيًا، لكننا لم نجد مكانًا يجمعنا طلب سامي مني أن أمسح تسجيلات الكاميرا ،وأخرجني من هذه القضية ،هذا كل ما حدث أما عن شعوري لحظة القبض علينا ،شعرت بسكاكين تنهش بجسدي وكأني بت عارية من الأخلاق خسرت كرامتي وبت ذليلة كالساقطات.

لم ينفوه عمرو بكلمة واحدة بل صار مذهولا من فعلة والديه ورد فعل سامي وذله لوالدته طيلة هذه السنوات وحدّث نفسه قائلا :لماذا حدث كل ذلك ،باتت حياتي جحيمًا على أي شيء تعاقبني يا الله ؟ كفى سأموت قهرًا إذا كنت تعاقبني على ذنب؛ فلترحمني لن أحتمل كل هذا فآلام رأسي تزداد كلما فكرت في حياتي.

*****

ذهب كل من إياد ووالدته لزيارة خالد رغم شروده وفقدانه لعقله ارتمى بحضن والدته وبات يبكي ويصرخ أمي حبيبتي خانك والدي.

شردت هل تصدقه أم تهدئ من روعه فهو مازال بمستشفى الأمراض العقلية.

بعد انتهاء الزيارة نهضت والدته لترحل فبكى خالد وتحدث كطفل كلامه غير مفهوم

_ ماما لا أمشي ماما أجي معاكِ أنا.

لكنها استمعت لقلبه يقول:

ـ هتسبيني تاني يا أمي ده أنا كنت بتمنى أوصلك كنت متأكد إني مش مهون عليكِ زي ما هونت عليه خديني معاكِ يا أمي أنا مش مجنون والله مش مجنون.. اعتصر قلب سعاد لرؤية ولدها الأكبر بهذه الحالة التي لا يُحسد عليها . لن تسامح سامي أبدا.. لم يعرف خالد إياد ينظر له بخوف شديد ويمسك ركبتيه بيديه.

ـ أنت مين؟ متقتلنيش .
ـ سعاد: دا إياد أخوك يا حبيبي.
ـ إياد اتقتل دينا خلته ميّت ، قتلته .

نظر إياد لخالد رغم شروده ومرضه لا تزال نبرة الحنان بصوته مازال هو السند الذي يتكئ عليه كم هو حزين لإيذائها أخيه.

همس إياد وكأنه يحدث نفسه: حبيبي أخي كم عانيت من أجلك كدت أقتل أنفس كثيرة لكن أبي كان ينقذني في آخر لحظة.. أردف: أبي فليسامحه الله نحن مرضى أنا مريض مثلك أعاني كثيرا فالدواء يحطم ما تبقى بي من قوة، أحلم بالارتباط بفتاة أثق بها، لكني أراهم جميعا دينا وأرى خالي يقف مكتوف اليدين لا يصدق أحدا، يثق بها حد الجنون . ماذا لو علم أنها على علاقة بوزير وتهدد أبي ما هذه السيدة صاحبة القلب الأسود من أين أتت بكل هذا الجبروت ؟!

ـ سعاد: ممكن تفهمني إيه علاقة دينا بتعب أخوك؟
ـ إياد: مهما أقولك خالي مش هيصدق دينا دي شيطانة كانت هتقتلني ولما خالد عرف زمان بعدت عنه بعد ما شوفتها معاه بوضع مش محترم ولما

كنت خايف وأنتِ عند تيتا روحت أنام في حضن بابا لقيتها معاه، خالد جه وشافها فانهار وكان هيقتلها كان فاكر إنها بتحبه ومتحملش إنها بتخونه فحطت السكينة في بطنه ، بابا قال إنه اتقتل لأن الهانم لفقتله ورق وكانت هتسجنه لأن خالد كان مصمم يقتلها .

ـ لفقتله ازاي دي أهلها ناس غلابة تعرف مين دي عشان تلفق ورق لباباكي.

ـ دينا على علاقة بوزير يا ماما.

ـ أنا لازم أقول لخالك هدمرها زي ما دمرت حياتك أنت وأخوك حسبي الله ونعم الوكيل، يارب أنا مأذتش حد تأذيني في عيالي ليه يارب؟!

ـ استغفري يا أمي واهدي كدا ربنا هيحلها.

ـ وديني عند خالك حالا يا إياد لازم يختار أنا أو هي .

ذهبت سعاد لمنزل شقيقها بعد سنوات من البعد فوجدت رائحة عفونة بشقته باتت تناديه وتخرج من غرفة تدخل الأخري فوجدته وافته المنية حزنت على سنوات بعدها عن أخيها وسألت إحدى الجيران :أين زوجته من كل هذا ؟ وكيف مات وحده ؟

زوجته تركته بعد أن لامها على تأخرها لساعات طويلة ؛ ضربته بالشارع أمام الجميع وفضلت عليه رجل آخر أتى معها ذات يوم وتشاجر معه وضربه ضربا مبرحا لم يهدأ سكان الحارة بل دافعوا عنه، فطلقها وطردها ومن هذا اليوم فقد ذاكرته وجلس وحيدا لكن مؤمن لم يتركه كان دائما يتردد عليه ويعطيه طعاما يكفيه حتى جاء يوم وخرج مؤمن ولم يعد ،لم نعلم أين اختفى حتى هذه اللحظة ،أخذتنا الحياة فقصرنا عن السؤال عنه.

يا الله ما كل هذه المصائب فقدت أخي وابني ، يا الله ساعدني سامحني،

يا أخي سامحني، ساعدها إياد بإجراءات الدفن وفي المقابر سقطت مغشيا عليها فرأت كابوسًا مريبًا ،رأت إياد مكفنًا في قبر صغير ويقف الجميع من حوله يدعون له أن يبدله الله دارا خير من داره، فشهقت حتى رش إياد في وجهها ماء، نهضت فضمته بقوة كادت أن تحطم أضلعه وكأن الله ينذرها بوجود إياد بجوارها.

عادت لمنزلها ووجهها أحمر كالدماء من شدة البكاء ارتدت عباءتها السوداء وباتت تبكي.

*****

ـ أنتِ يا هانم مش ناويه ترجعي البيت.

تترنح أمامه

ـ أرجع فين ولمين أمي بس اللي هتموت عليا لكن هو عاوز يقتلني.

ـ مالك مش متزنه كدا ليه في إيه مالك يا بت؟!

ـ مفيش أنا كويسة لكن هات فلوس عاوزة أشتري حاجة مهمة أوي.

ـ بتشربي إيه ردي عليا.

ـ هههههه بشرب برشام عاوزة أنسى دنيتي السودة دي.

أخذني تحت الصنبور بعد أن صفعني:

ـ فوقي يا غرام حرام عليكِ مش أنتِ اللي دايما تقوليلي اتق الله جرالك إيه ؟ وبتسودي الدنيا ليه مش قولتيلي قبل كدا حرام متضيعيش زينا يا غرام، أنتِ لأ، أنتِ بس اللي كويسة فينا ارجعيلنا يا أختي.

ـ أرجع ليه عشان يقتلني قولي سبب أرجع عشانه.

ـ هتيجي معايا أنا خالي توفى وأمي تعبانة أوي.

ـ إنا لله وإنا إليه راجعون لا إله إلا الله.

أخذها بين ذراعيه

ـ هي دي أختي غرام اللي بتذكر ربها بكل حرف يلا نرجع بيتنا أنتِ لازم تغيري اللبس الغريب دا فين فساتينك الجميلة الواسعة.

ـ أيوه غيرت لبسي لكن طرحتي لسه على راسي.

ـ لكن قلبك عريان يا غرام مش دا قلب أختي اللي بتقربني من ربنا، فاكرة أول مرة اتقابلنا قولتيلي إني لازم أقرب من ربنا العلاج لوحده مش كفاية وإن الشفا بالقرب من ربنا قولتيلي مش هسيبك يا قلب أختك مش هبعد عنك وكدبتي عليا وسبتيني تاني من يوم ما ارتبطي بعمرو عاوز أقولك حرام يا غرام إزاي يكوننلك علاقة برجل وتمسحي لنفسك تكلميه وتخرجي معاه دا غلط في حق أخلاقك لكن لما جالي وأتكلم معايا حسيت الموضوع رسمي شوية.

ـ أعاهدك يا إياد قدام ربنا ،مش هغضب ربنا تاني ،عمرو مش هكلمه إلا لو بقى حلالي .

ـ ارجعي معايا متخافيش ،هحميكِ.

ـ هرجع معاك بس لو بابا شافني هيموتني.

ـ متخافيش هو هينشغل مع ماما لأنها نوياله على مشكلة كبيرة.

ـ طب وماما هسيبها لوحدها إزاي أنا سيباها من فترة كبيرة تفتكر مين بيغيرلها هدومها ؟ مين بيسرحلها شعرها ؟ حبيبتي يا ماما .

ـ يلا ارجعي لماما يا غرام هي أولى بيكي وأنا هجيب أمي ونقعد عندكم كام يوم اهيه تفضفض مع ماما فاطمة ويهونوا على بعض.

فكرتُ في الأمر ثم عدتُ لمنزل والدتي استصدمتْ أمي بالحائط من لهفتها لابنتها الوحيدة.

ـ غرام حبيبتي وحشتيني أوي كدا تسبيني لوحدي .
أردفتْ لإياد
ـ شكرا يا ابني إنك رجعتلي بنتي تاني .
ـ أنا وعدتك يا ماما إني أرجعهالك .

الفصل التاسع

عادت لرشدها

« قد يظهر معدن الأشخاص مهما غيرتهم الظروف »

ـ لكن مالك يا غرام عينيكِ تحتها أسود ووشك مخطوف إيه دا إيه اللبس دا يا هانم وكمان حطه مكياج كدا يا غرام كنت فاكرة إني ربيتك كنت فاكراكِ تقدري تحافظي على أخلاقك في أي مكان.

بدأ صوتي يتلاشى شيئًا فشيئًا حتى سقطتُ أرضًا.

ـ فاطمة: غرام مالك يا بنتي ردي عليا أنا السبب بنتي ماتت بسببي.
ـ إياد: بعد الشر يا ماما هي بس أغمى عليها ، وجرى مسرعًا وأتى بزجاجة عطر وبخ على وجهي لم أستجب . بات يصرخ غرااام أختي فوقي بقى حرام كلكم هتضيعوا مني.
ـ فاطمة : بنتي حبيبتي قومي يا قلبي والله ما هزعلك تاني .

نهض إياد مسرعًا واتصل بوالده.

ـ غرام يا بابا ، ألحقني هات بسرعة دكتور أختي بتموت .
ـ أنت لقيتها يا إياد هي قالت لحد حاجة غير سامية ؟؟
ـ هتجيب دكتور ولا لأ أختي بتموت ؟ لسة بتفكر في نفسك!!

وفي ظرف لحظات أتى الطبيب المقيم بنفس المبنى معهم فأمر سيارة الإسعاف بالمجئ واصطحبوا غرام للمشفى كادت دقات قلب والدتها أن تتوقف من الصدمة ؛ فهدّأ الطبيب من روعها :» كل ما بالأمر أنها مصابة بهبوط حاد ولابد من تعليق المحاليل وعمل بعض الفُحُوص لا تقلقي» . أتى سامي فوجد ابنته ترقد على سرير أبيض ويحملها ثلاثة من الرجال ويضعونها بسيارة الإسعاف ،اتصل إياد بوالدته:

ـ تعالي على بيت ماما فاطمة بسرعة
ـ قولتلك متقولهاش ماما .
ـ خلصي يا ماما غرام بتموت .

ـ مالها يا ابني قلقتني مالها البت كانت زي الفل حسبي الله ونعم الوكيل في سامي.

وبعد أن تمت الفُحُوص خرج الطبيب من الغرفة:

ـ مين مسئول عنها؟

أسرع إياد أنا أخوها، خير يا دكتور.

ـ أختك مدمنة عقار الترمادول ولما ماخدتوش تعبت وكمان واضح إنها تحت ضغط نفسي كبير ومبتاكلش.

ـ ممكن يا دكتور بس متبلغش بابا لإن في مشاكل كبيرة جدا أرجوك يا دكتور.

ـ لكن الواجب يحتم عليا إني أكون صادق مع والدك .

ـ أنا أخوها الكبير يا دكتور ده طلب شخصي أرجوك بابا عقيد شرطة وممكن يقتلها.

ـ لكن دي لازم تتحط في مصحة وتتعالج من الإدمان.

ـ أنا هتكفل بمصارفها وهتابعها طول الوقت ، والدتها هتديها الدوا اللازم في ميعاده، أرجوك يا دكتور مصحة لا.

ـ لكن كدا المسئولية كبيرة أوي عليكم وضغط كبير.

ـ مفيش مشكلة إحنا قدها.

عدتُ للمنزل بعد عرضي على طبيب لأتعافى من الإدمان وتلقيي المحاليل اللازمة ولكن صدمة أمي كانت أكبر مما نتخيل .

ـ إياد: ماما فاطمة غرام كويسة لكن هتتعبي معانا شوية هي للأسف أدمنت نوع من المخدرات .

خبطت فاطمة على صدرها

ـ بنتي ، يارب خدني يارب ، يارتني مت قبل ما أسمع الكلام دا حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا سامي ؛ ضيعت بنتي حرام عليك . باتت تصرخ وتصرخ حتى سمعها سامي فقال بصوت جهوري

ـ أنا سمعت كل حاجة.

سامي ينظر لغرام نظرات مريبة من حين لآخر وأردف لسعاد

ـ مش هترجعي بيتك غرام بقت كويسة؟

ـ لا أنا مرتاحة هنا.

ـ براحتك يا أم خالد.

كان وقع الكلمة على مسمعها جديد تعجبت منها.

ـ صحيح ليه لابسه أسود؟

ـ أخويا مات الله يرحمه.

ـ عرفتي منين يا هانم ؟!

ـ روحتله وحضرت دفنته مقدرتش أدفنه مع أبوه زي ما كان بيتمنى ، جيرانه دفنوه في تربهم وإياد حبيبي مسابنيش.

صمت قليلا وهو يحك رأسه بأظافره:

ـ طيب ودينا سابته إزاي؟

ـ هههه دينا ربنا يهدها يارب.

تدخلتُ بالحوار: متدعيش عليها متستحقش الثواب وفي ملايكة بترد الدعوة ، كفاية حسبي الله ونعم الوكيل.

ـ متدينة أوي يا بت ، يلا يا مدمنة أنتِ عارفة أمثالك مكانهم السجن مش المجتمع.

ـ فاطمة: أنا غلطانة إني قولتلك ، أنا غلطانة.

ـ غرام:على الأقل منهتش حياة ابني عشان غلطت غلطة وحملته هو

تمنها وعموما قريب أوي خالد هيكون وسطنا . جن جنونه وخرج من المنزل بسرعة صاروخية متوجها للمصحة يسأل عن خالد لكنه غير موجود ولا يعلم المسئولون أين هو؟ ومن أذن بخروجه ؟ وخلال لحظات دق هاتف سامي.

ـ دينا : ابنك هرب لو اتعرضلي هيكون آخر يوم ليك في الشرطة.

ـ سامي: اهدي بس هو تعبان أصلا لو شافت مش هيعرفك .

ـ دينا: مش هيعرفني؟

ـ ابنك بعتلي رسالة على تليفوني بيهددني بالقتل .

ـ ابعتيلي الرقم اللي أتكلم منه وأنا هجيبه .

ـ كان غيرك أشطر رقم مش متسجل وبرايفت كمان.

ـ أنا متأكد إن اللي بعت الرسالة مش خالد.

ـ هو بقى مش هو ، أنا بعرفك ، لو اتعرضلي هيموت.

أغلق الهاتف وتذكر كلمات غرام

ـ خالد قريب هيكون وسطنا.

ـ خالد قريب هيكون وسطنا.

سمع صدى صوتها مرات عديدة واتصل بإياد.

ـ سامي: خالد فين يا إياد؟

ـ إياد: بتسألني أنا يا بابا مش أنت اللي حاطه بإيدك في النار.

ـ سامي: أخوك هرب وبعت رسالة لدينا وهددتني بقتله ؛ أنا مش عاوز أخسره يا ابني أنا عاوز أعوضه عن اللي فاته.

ـ إياد: المهم نعرف هو فين هرب ولا اتقتل ولا هم خرجوه عشان يهددوك بيه اطمأن قلب سامي تجاه إياد.

****

ـ أنت كويس دلوقتي ؟

هز خالد رأسه بالإيجاب.

ـ متخافش عمري ما هأذيك أنا زي أخوك مش أنت بتحب إياد.

ـ خالد بلهجة طفولية: أه بحب إياد أوي، دينا تقتله لا إياد حبيبي.

ـ متخافش يا خالد مفيش دينا خلاص ، دينا مشيت بعيد بعيد ومنعرفش هي فين.

ـ يارب تموت دينا هي وحشه متحبش خالد .

ودخل بنوبة هستيرية من البكاء الشديد فحاول تهدئته لكنه مازال يشعر بالخوف والجوع مازال يتوقع الغدر من طيفه ،يتمني أن تنشق الأرض وتبتلعه لتحميه من هذا الخوف الذي اقتحم عالمه فتحول من رجل مسئول لشخص مريض .

دق الهاتف

ـ غرام: إيه يا عمرو خالد عامل إيه؟

ـ عمرو: طب مفيش وحشتني يا قلبي، بحبك يا روحي ، أي كلمة كدا

ـ غرام: أنا عاهدت ربي وأخويا إياد مش هكلمك إلا لما نتحوز لكن دا ظرف

ـ قهري بأطمن على أخويا.

ـ عمرو: أنا خلاص هموت والنبي يا خالد جوزني غرام.

ـ خالد: غرام مين، غرام وحشة هتقتلك.

ضحك عمرو بصورة هستيرية مما أثار غضب غرام.

ـ أنت بتضحك على إيه إحنا غلطانين إننا ائتمناك على أخونا الكبير وبعدين عاوز تسمع مني كلام حلو وأنت السبب في اللي وصلتله منك لله.

ـ انتهينا يا غرام سامحيني زي ما سامحتك.
ـ طب وكرامتي يا عمرو أقول لعقلي إيه لما يسألني؟!
ـ قوليله مفيش كرامة في الحب ، قوليله دا اتقدملي وأبويا رفضه أو ممكن تقوليله إن أبوكِ ذل أمي وأنا حتى مجبتلكيش سيرة إني عرفت رغم إني زعلت منك أكتر حد، دايما كنت بقول غرام دي مرايتي وفي الآخر تطلعي مخبية كل دا، أنتِ اللي خذلتيني يا غرام.

صمتُ أبحث عن كلمات أرضيه بها لكن ارتسمت على شفتيّ بسمة جميلة ووقفتُ أمام المرآة وأطلقت شعري .

ـ غرام: مرايتي مش قولتلك في حد هيحبني يا غرام .
ـ عمرو: هههه يا مجنونة أنا لسة مقفلتش.

ضحكتُ خجلا وأغلقتُ الخط من دون أن أتكلم وتتسارع دقات قلبي مع ناطحات السحاب، خرجتُ من غرفتي فاصطدمت بباب غرفة والدتي فسقط إياد من شدة الضحك من جبهتي المنتفخة من أثر الصدمة، فدخلتُ معه في نوبة ضحك هستيرية وضحك الجميع بعد مقاطعتهم للضحك منذ فترة طويلة.

ـ سعاد: ياريت خالد معانا يضحك زيّنا.
ـ غرام: ههه عجبتك يا ماما سعاد خلاص يا ستي هتخبط تاني عشان بس أشوف البسمة الجميلة دي.
ـ سعاد: أول مرة تقوليلي يا ماما.
ـ غرام: لإني بدأت أحس إننا عيلة واحدة وإن قلبك طيب زي ماما.
ـ فاطمة: والله يا سوسو أنا بحسك أختي معزتك في معزة سامية.
ـ سعاد : كتر ألف خيرها خالد عندها ومتحملة صريخه طول الليل من

التعب.

ـ تنحنحت غرام : طب وعمرو مش كتر خيره بقى.

ضربها إياد بالوسادة بوجهها .

ـ إياد: عمرو في عينك يا مفعوصة.

الجميع سعيد سوى سامي يفكر في مصيره بعد هروب خالد، ففكر ...

الفصل العاشر

النهاية

كل منا يختار نهايته بيده لا تترك أحزانك تسطو عليك

ففكر أن يعيده للمشفى قبل أن تنفذ دينا تهديدها ،عاد للمنزل يتوسل لهم ودموعه تغرق وجهه ، يدعي وصوله رسالة تهديد بالقتل إن لم يعد خالد لمكانه.

– فاطمة : أنت عارف كل اللي شوفته منك كوم وموضوع خالد دا كوم تاني جبت القسوة دي منين ؟؟ قدرت تقتل شباب ابن عمرك بالحيا .

– سامي: مكانش قدامي حل تاني ، أيوه منكرش إني شخص تصرفاته مش مقبولة وإنكم مبتحبونيش لكنهم هددوني بقتل خالد، أنا كنت خايف عليه قولت بدل ما يقتلوه أحافظ عليه.

– سعاد: أنت قتلت ابني بالحيا كان ممكن تهربه بره أو تقولي حتى إنه عايش ليه مسمحتليش أشوفه بيكبر .

– سامي: الموضوع أكبر من كدا بكتير طبعا كلكم سمعتوا مني عن صديقي د/ سعد

– غرام: ياااه من زمان أوي مجبتش سيرته.

– سامي : طلب مني في مرة اني أساعده عشان ابن أخته في إيد عصابة وبعد ما ساعدته اكتشفت إن الولد ده مخطوف عشان يسرقوا أعضاءه.

– إياد: وايه جاب اسم دينا في الورق ؟ وعرفت منين ؟ وبتهددك بايه؟

– سامي: يا سيدي الولد ده يبقى ابن دينا وأما قتلوا الطفل عشان ياخدوا أعضاءه لجأت للوزير دا وعملت معاه علاقة عاطفية عشان تقضي عليا وبكدا لازم ابني يموت زي ما قتلت ابنها من وجهة نظرها.

– غرام: والدكتور يا بابا دا هو المجرم استغل وظيفتك وصداقتك ليه منتقمتش منه ؟

– سامي: لإنه باع جزء مهم في جسم الولد لابن ظابط إسرائيلي ؛ لإنه جاسوس ومن بعد اللي حصل هو هناك بيتحامى في الحكومة الإسرائيلية وأنا مش هسيبه بلغت عنه أمن الدولة وسفارتنا هناك هتقوم بدورها .

– فاطمة: الموضوع بقاله سنين هو مختفي فين كل دا .
– سامي: بعد ما سافر عملوله عملية وغيروا ملامح وشه ودول دولة مش سهلة والجواسيس مفيش أكتر منهم هناك، دي دولة كاملة عاوزين يوقعوا مصر لكن مصر قد الدنيا وهتفضل واقفة على رجلها.
– إياد: ليه مستعانتش بحد من الحكومة المصرية بدل ما خالد مستقبله ضاع.
– سامي: خالد كان هناك بياكل ويشرب وبزوره كمان وكان فاهم كل شيء وعارف إنه لما شافني معاها مكنتش بعمل حاجة اللي حصل كالآتي:
«خالد كان معاها وأنا شفتهم قبل ما أنت تدخل الأوضة.
– دينا: أنا قلتله إني قتلت ابنه بدل ما كنت هقتل إياد.جه خالد بسرعة جايب السكينة وعاوز يقتلها عشان خانته وقتلت ابنه راحت هي اللي ضربته بالسكينة خالد كان عارف إني عملتله عزاء لكنهم ملوا دماغه بكلمات وحاولوا يدوله علاج يبوظ مخه عشان يخضع لكلامهم ويصدق موضوع الخيانة».
– سعاد: ابنهم ده كان عايش فين إزاي مخبينه عننا ولما اتقتل كان عنده كام سنة؟!
– سامي: كان عنده سبع سنين وكان عايش في بيت والدة دينا وبتربيه.
– غرام: مفيش أي علاج يا بابا يخلي خالد يبقي كويس ويرجع وسطنا!!
– سامي: أنا كنت جاي عشان آخد عنوانه منك بالقوة وأرجعه المستشفى ؛ دينا هتقتلني ، وكمان الورق معاها جابته منين معرفش ! وحطت إمضاء عليه إزاي معرفش برضو !!
– إياد: هنوصل لرئيس الدولة ونقوله الحقيقة وأكيد هيصدق ولو مصدقش يا بابا تبقي ريحت ضميرك.
– سامي: حاضر يا ابني حتى لو كملت حياتي في السجن هبقى مطمن أن أنتم راضيين عني .

أمسك بكتاب الله وأقسم بربه وكلماته أنه صادق ولفظ أنفاسه الأخيرة و وافته المنية.

وهو معلق عينه بالجميع وآخر ما نطق : سامحوني .

لم أتوقع ظلمة حياتي من بعد أبي تمسكت به وأعطيته قبلة الوداع ، ليت بوسعي أن أعيدك للحياة ثانية يا أبي، لماذا لم أعطك من الحنان حتى القليل؟! نعم كنت قاسي القلب لكنني دائما ما أشعر بوجودك، ضاعت عصاتي التي طالما أتكأت عليها طيلة حياتي. سرت وراء نعش أبي وتمنيت أستيقظ ويصبح مجرد كابوسا مزعجا، أتفقد وجوه الجميع لعلي أراه . لن أحتمل كلمة رحمه الله، حين تربت إحداهن على كتفي أشعر بنيران، لا أريد شفقة من إحداهن، فقط أريد أبي، لم أتوقع دموع أمي وسعاد كادت عيونهما تتحول إلى جمرات من شده البكاء.

أما إياد: ليه سبتني في الدنيا دي يا بابا كنت شايل عني هم كبير ياما داريت عليا ، رحمتني وأنقذتني كذا مرة قبل ما أقتل ،عالجتني عند أكبر دكتور لحد ما بقيت أحسن . ارجع يا بابا خلاص هتموت وتسيبني ليه كدا... ترك النعش فجأة وسط صراخه وأمر الجميع بالوقوف، أسقطه أرضا وأزال الخشب وضحك وسط البكاء : أبي أنت حي .. تجمع الرجال من حوله مرددين لا إله إلا الله ؛ أخذه عمرو لمنزله كي يهدئه وترك الجميع. خالد بالمنزل مع سامية بعد أن رأى إياد نظر له نظرات غريبة.

- خالد: أنت مين يا واد أنت؟
- إياد : أنا اخوك الصغير، إياد فاكرني ؟!
- خالد: لا إياد صغنن وجميل ، أنت وحش.
- إياد: بابا مات يا خالد ، سامي مات .

- خالد: اسكت يا واد أنت ، سامي حلو .
- إياد: فوق بقى أبوك مات بسبب غلطتك مع دينا ، فوق لنفسك ضيعتنا كلنا.
- جلس خالد بركن الحائط مرتعدا من صراخ إياد.
- عمرو : اسكت بقى أنت إيه ، هو ذنبه إيه ؟ اهدوا حرام عليكم.

اتصل عمرو بغرام ...

- غرام : إحنا في المقابر انتوا اختفيتوا فين؟ ماما سعاد بتسأل عنكم.
- عمرو : إياد مبهدلني وخالد خايف منه ؛ أنا تعبت بجد .
- غرام: لما نروح هاتهم وتعال على البيت.
- عمرو: ازاي طيب وهنقول لأهلك مين خالد ؟!
- غرام: خالد لو شاف كل أهله هيفتكر كل حاجة وهيتحسن.
- عمرو: لكن هيتصدم إن أبوه مات.
- غرام: في صدمات بتفوقنا وتقوينا مش لازم صدمة تقتلنا .
- عمرو: وأنتِ يا حبيبتي صوتك حزين أوي، استهدي بالله كدا الله يرحمه يارب.
- غرام: دا بابا يا عمرو حبي الأول وسندي.
- عمرو : أنا عارف يعني إيه يُتم ومجرب وجعه لكن الحمد لله معاكِ خالد وإياد ربنا يخليهملك.
- غرام: الله المستعان.
- سعاد: بتكلمي مين يا غرام في حد يتكلم في التليفون في المقابر!!
- غرام: دا عمرو بيطمني على اخواتي وأنا قولتله يجيبهم على البيت لما نروح .
- سعاد: صح أنا هحمي ابني من دينا .

عاد الجميع لمنزل سعاد وحضرت العائلة بالكامل لاستكمال مراسم العزاء، وحضر كل من خالد وعمرو وإياد ، تفقد خالد المكان ودخل غرفة والده فدارت الدنيا من حوله وسقط أرضا بعد أن تذكر كل شيء وبعد أن استعاد وعيه تحدث برزانة وهدوء نظر لعمرو :

_ أنت إياد أخويا.

تعجب عمرو من كلماته الواضحة وبات ينظر إليه باستغراب فنادى بصوت مرتفع: إياااد إياااد

جاء إياد مسرعا ونظر لخالد دون أن ينطق بكلمة وقفز بأحضانه :أنا إياد يا حبيبي بص كبرت إزاي .

_ فاطمة: إياد تعال أقولك حاجة بسرعة.

حاول إياد الخروج من أحضان أخيه لكنه ضمه بشدة ،لكن عمرو أدرك من صوتها أن هناك شيئا مهما، فذهب عمرو إليها مسرعا.

_ اندهلي إياد بسرعة دينا جت بره خدوا بالكم من خالد.

_ دينا: البقاء لله يا حبيبتي الله يرحمه.

_ سعاد: حبيبتك بعد ما أخويا مات بسببك وابني واللي جراله الله يسامحك يا دينا.

_ دينا: سامحيني يا حبيبتي ابني مات وعرفت بعدها بموت أخوكِ ، الموت قريب مننا أنا مسامحة خالد مش هأذيه .

_ سعاد: تأذيه تاني يا دينا مش كفاية عمره اللي راح، اللي مات ابنه زي ما هو ابنك هو فاكرك أنتِ اللي قتلتيه لإن أنتِ قلتيله كدا .

خرج خالد للحمام فرأى دينا؛ وقف مكانه دون أن يتحرك .

- سعاد: تعال يا خالد متخافش يا حبيبي.

أمسك بطرف جلباب والدته الأسود والخوف يقفز من عينيه ؛ مما أثار شفقة دينا.

- دينا: اهدى يا خالد أنا مش هأذيك، وعلى فكرة مش أنا اللي قَتلت مهند، هو مات لوحده، ربنا كان عاوزه.

انتهت الزيارة وهدأ خالد

****

بعد مرور عام

اتصل عمرو بخالد ليأخذ موعدًا يأتي فيه مع والدته لطلب يدي .

أتى خالد من شركته الصغيرة ومعه إياد وأحضرت غرام الجاتوهات والمياه الغازية ، دخل كل من فاطمة و سعاد غرفة العروس الجميلة

- فاطمة: شفتك عروسة يا غرام زي القمر يا حبيبتي لما كنتِ بتعالجي من الإدمان قلت بنتي راحت لكن دلوقتي رجعتيلي يا قلبي .
- غرام: اللي مفرحني يا ماما إنك واقفة على رجلك قدامي أخيرا ربنا شفاكِ.
- الموضوع كان نفسي من كتر ضغط الأعصاب

دق الباب وتسارعت دقاته مع دقات قلبي .

- خالد: إيه دا إيه دا أختي الجميلة، شكلك قمر الله أكبر.
- غرام: حبيب قلبي يا خالد لما بشوفك بحس إني مش يتيمة.
- خالد: عقباني يا رب بقى .

- غرام: هجبلك عروسة جميلة بس وافق أنت .
- إياد: وأنا بقى جوزوني ؛أنا عجزت خلاص.

وتعمد الاتكاء على عصاه كشيخ كبير وضحك الجميع .

جاء عمرو بقميصه الرمادي وبنطاله الأسود والضحكة ترتسم على وجهه.

- سعاد: سامية حبيبتي اتفضلي نورتينا .

استكملت هُندامي وخرجتُ بفستاني الأحمر المرصع باللؤلؤ الفضي وتزين وجهي بحجاب فضي .

وملأت الفرحة المكان بعد أن اتفق الجميع على الزفاف الخميس القادم .وفي يوم الزفاف ....

ـ عمرو: أخيرا بقيتي مراتي يا غرام ، أنا هموت من الفرحة بجد.
ـ غرام: لا بعد الشر ما صدقت هعيش معاك كل عمري .
ـ مكانش نفسي أننا نتجوز في شقة والدتك مش عاوز أحس إني قليل ،كان نفسي أجبلك شقه من فلوسي.
ـ يا عمرو أنت أرجل واحد في الدنيا ، وجودك معايا بالدنيا وبعدين الشقة بتاعتي وباسمي ، لما ربنا يكرمك ابقى أبيعهالك .

رقص العروسان على أنغام الموسيقى الهادئة ، ولف عمرو عروسه فرحا بها . رأى خالد فتاة بأواخر العشرينيات بالزفاف وتجرأ وذهب إليها ليعرف من هي ؟!

ـ خالد: أنتِ مين أنا شوفتك قبل كدا ؟
ـ مش فاكرني يا خالد أنا بنت عم باباك ، أنا سلمى.

ـ أنتِ متجوزة أو مخطوبة ؟

ضحكت من شدة الخجل واحمرت وجنتاها .

ـ لا مش متجوزة ومش مخطوبة.

ودق الحب قلب خالد بعد مشوار من الآهات والعذاب. أما إياد فتزوج من فتاة جميلة كانت تتلقى جلسات علاج جماعي معه ،وعاشت فاطمة مع سعاد أما سامية فكانت تزورهما دائما لاشتراكهن بمشروع مطبخ لتوصيل طلبات الأكل للمنازل.

تمت بحمد الله

شكر خاص لصديقاتي غادة وجيه، وباسنت أبو الجود.

لرباب عثمان، ومنى وفاطمة وإيمان عثمان.

أخواتي أسماء كمال، ودنيا وشروق ونورهان دسوقي.

لأبي الصحفي أحمد عثمان على دعمه لي.

لزوجي على كل شيء جميل يفعله من أجلي.

لأمي التي تلون حياتي بالسعادة.

لأخواتي كمال ومحمد أحمد عثمان ويوسف كمال.

لمنة الله رأفت، ومنى دراوي.

صديقاتي رشا ماهر، جهاد أحمد ، صفية حسن.

فريق حلم ينتصر، والليدر رضوى خلف ومنة عودة ودينا سيد ومي محمد وآية سليم وزينب ربيع، وبسمة أباظة، ليلى عمر، شادن قليش،عائشة الباز، نجلاءعفيفي.

صاحبة أرق قلب أميرة العربي.

لأمي الثانية سامية حمد لابنتها هبة سيد .

لرو مانه (نور خالد) علي قلبها الرقيق.

للأستاذ أحمد المنزلاوي، وشيرين بدران، وشيماء جمال، ورانيا كمال، على قرائتهم للرواية أكثر من مرة.

شكرًا لآدم حبيبي.

للمؤلف حسن الحسيني عيسي على دعمه.

للأستاذ محمود الأخرسي.

لرانيا، سارة صلاح.

عذرًا إن نسيت اسم أحدٍ لكنكم محفورون بالقلب.